حسن رشاد



عاشقة نفسها

دار المعارف بمصر

عاشقة نفسها

حسن رشاد

عاشقة نفسها

اقرأ ١٨٦

دار المعارف بمصر

اقرأ ١٨٦ – يونيه سنة ١٩٥٨

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر

الفصل الأول

نشأ « عثمان » فى أسرة متوسطة الحال ولكنه استطاع بصبره وذكائه وجهاده أن ينشئ مع شريكه « فرج » بعد عشرين عاماً حافلة بالكفاح والعمل الدائب مصنعاً كبيراً للخزف والأسمنت قرب المعادى ، يعمل فيه مئات الموظفين والمهندسين والعمال ، ويدر عليهما آلاف الجنيهات كل سنة .

وأراد « عثمان » بعد أن بلغ الثالثة والستين من عمره أن يتزوج فتخير أن يتزوج فتاة صغيرة فيها من الصبا والحيوية والجمال ما يعوضه عن الحرمان الذي عاناه ، ويضمن له أبناء أصحاء أذكياء حسان الصورة .

وكان « عثمان » قصير القامة ، أسمر اللون ، جعد الشعر ، جاحظ العينين ، ضخم الأنف إلى حد يستلفت النظر ولكنه كان قوى الجسم ، صلب العود حفظت له حياته المنظمة صحة موفورة وحيوية لا بأس بها ، وكان إحساسه بقبحه سبباً فى انصرافه عن الزواج والتفكير فى أحب لذات الحياة وهى لذة الحب ، فعاش سنى حياته الطويلة وهو يزدرى المرأة ويزدرى الحب ومن يتحدث عن الحب ، فلما تقدمت به

السن واجتمعت له ثروة طائلة تاقت نفسه إلى الزواج ، وظن أن ثروته العريضة وجاهه العظيم يبيحان له ما كان يعتقد أنه محظور عليه ، وأحس أن فى الدنيا أهدافاً أخرى غير المال والجاه هى التى تكسبها جلالها وأهميتها وبهجتها . .

ولم يكد أفراد أسرته يسمعون بما عزم عليه حتى شاعت فى نفوسهم إحساسات متضاربة ، فأما أخته « عائشة » فقد أنكرت الفكرة إنكاراً شديداً لأن مثل هذا الزواج زواج متكلف لا يمكن أن يأتى بنتائج الزواج الطبيعية ، واتفق معها فى الرأي زوجها المستشار بوزارة العدل إيماناً منـــه بنظرية الزواج المبكر المتكافئ ، أما ابنهما الدكتور « مختار » فقد وجد فى رغبة خاله موضوعاً جديراً بالنظر والدراسة إذ كان بحكم منصبه كأستاذ علم النفس الأول فى الجامعة يؤمن إيماناً راسخاً بنظرية العلامة « فرويد » التى تعزو معظم التصرفات الشاذة إلى عقد نفسية تكمن فى اللاشعور ، ويعتبرها القول الحق فى تفسير سلوك الإنسان ، وأما أخته « فائزة » فقد كانت تحب خالها «عثمان» حباً شديداً وترغب أشد الرغبة فى إسعاده ولذلك رحبت بالفكرة ووعدت خالها أن تختار له فتاة بارعة الجمال من بين صديقاتها ، وشاركها فى هذا الشعور خطيبها وابن عمها « بجلال » المحامى .

أما « فرج » وزوجته « نجية » فقد عارضا « عائشة » لأن الدين يبيح لشريكهما أن يتزوج وسعادته تقتضى أن يتزوج ولكنهما فى الوقت نفسه أرادا له أن يتزوج من سيدة نصف من قريبات « نجية » ، ولكن عثمان رفض هذا الزواج رفضاً قاطعاً وأصر على الزواج من زهرة نضرة من زهرات المجتمع الراقى الذي أصبح ينتمى إليه .

ووجد « عثمان » ضالته المنشودة فى فتاة قدمتها له « فائزة » فى حفلة دبرتها خصيصاً لهذا الغرض فى دار أسرتها بحلوان ، وكانت الفتاة رائعة الحسن فتانة ، فهام بها عثمان ورجاها أن ترتضيه زوجاً ، ووعدها لقاء ذلك أن يبنى لها فى المعادي حيث يقيم أفخم القصور وأن يطوف معها أقطار العالم التى تحبها ، وأن يضع بين يديها ثروته العريضة تفعل بها ما تشاء ولكن الفتاة رفضت هذا العرض رفضاً باتاً وصارحته أنها لا تقر هذا الزواج ولا ترضاه ، واشتد بينهما حوار انهزم فيه عثمان ، وانصرفت الفتاة عنه قائلة فى سخرية :

ــ دعنى فإنى أريد أن أقضى السهرة مع الشباب .

هنالك ثارت ثائرة عثمان واربد وجهه وأعلنها أنها ليست أهلا لهذه النعمة وأقسم ليتزوجن فتاة تفوقها سحراً وفتنة وجمالا .

وخرج عثمان مغيظاً محنقاً وركب سيارته وانطلق بها إلى

داره فى المعادي ، ولما وصل إلى هناك أبلغه خادمه النوبى « سرور » أن شريكه « فرج » ينتظره فى منزله لتناول العشاء معه . وكان منزل شريكه يقع على مسافة بضعة أمتار من منزله ولا يفصله عنه سوى سور صغير منخفض ، فاستدار « عثمان » وسار مخترقاً ممراً فى الحديقة يصل بين المنزلين ، وحين دخل القاعة الخارجية عرف من أحد الخدم أن رب الدار وزوجته وابنهما الوحيد « مجدى » يتناولون العشاء فوضع عصاه قرب الباب ودخل حجرة الطعام ، فلما رأته « نجية » قالت له باسمة :

ــ أهلا . . أهلا ، لقد تأخرت كثيراً على غير العادة ، ترى أين كنت ؟ . .

فأجابها وهو يبتسم ابتسامة مغتصبة :

ــ كنت فى خلوان ، أرجو المعذرة . .

وكان يجلس إلى جوار نجية ابنها « مجدى » وهو شاب فى السابعة والعشرين قوى الجسم ، جميل المنظر ، يعجب النساء ولا يتحرج معهن مما يتحرج منه الرجل العفيف ، وتطلع « مجدى » إلى عثمان وقال :

ــ يبدو عليك اضطراب ، هل حدث شىء ؟ . .

فأجابه فى اقتضاب : لا شىء يا مجدى . .

ثم احتل مكانه من المائدة وأجال فيهم بصره فرأى « مجدى » بوجهه المتورد وشاربه المدبب المعقوف وعينيه البراقتين الجريئتين يتطلع فى رضا إلى نفسه فى المرآة ولكنه لم يلمحه وهو يختلس النظرات فى غفلة من الجميع إلى الخادمة الشابة « نرجس » التى كانت تقوم على خدمتهم ، بينما كانت تجلس إلى جواره أمه وهى سيدة فى الخمسين من عمرها طيبة القلب ، ساذجة النفس مطبوعة على الخير ، وعن يمينه كان يجلس شريكه « فرج » وهو رجل فى الخامسة والخمسين ضخم الجسم ، أصلع الرأس ، مجلجل الصوت لا يدل شكله على همه أو نشاط ولكنه كان فى الواقع رجلا سريع الحركة جم النشاط لا يمل العمل أبداً .

وتطلع « فرج » بعد لحظات إلى شريكه وقال :

ــ ماذا يصدك عن الطعام يا عثمان ؟ . .

ــ لا شىء يا فرج ، فهأنذا أتناوله بشهية كالعادة . .

وحمل نفسه على طعام عشائه حتى لا يظهرهم على ما بنفسه . وبعد تناول الطعام خرج الرجلان إلى الحديقة ، وكان القمر فى إبانه والسماء المتألقة تضرب على الأرض رواقاً صافياً يبهر الأبصار ، وجلسا على مقعد طويل تحت خميلة . وبعد لحظة تطلع فرج إلى صديقه وقال :

ـ أي هم يساورك يا عثمان ؟ ما الذي يشغل بالك ؟ . .

فأرسل نفساً عميقاً وغمغم يقول :

ـ إنني أشعر بضيق يقبض صدري . .

ـ وهل لهذا من سبب ؟ . .

ـ أخشى أن تسخر مني إذا أخبرتك بالسبب .

ـ أعدك ألا أسخر منك إذا قلت الحقيقة ، فماذا حدث ؟

ـ لن أخفي عنك شيئاً ، لقد قدمتني « فائزة » منذ ساعة إلى فتاة رائعة الحسن ما إن رأيتها حتى استيقظ قلبي الغافل وأحسست أنها المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يوفر لي السعادة ، ولكني ما كدت أعرض عليها الزواج حتى ثارت في وجهي وانصرفت مهرولة إلى أصدقائها . .

ـ أما قلت لك أن مثلك لا يليق به أن يتزوج من فتاة جميلة في مقتبل العمر ، أما قلت لك أكثر من مرة أن الزواج من سيدة تناسبك في السن هو الزواج الملائم لك يا عثمان . .

فأجابه متأففاً ـ بالله لا تذكرني بهؤلاء العجائز ، فأنا لا أميل إليهن إطلاقاً لأنهن يذكرنني دائماً بأننا أناس مشرفون على الموت وأنا أكره الموت من أعماق قلبي . .

ـ يالك من عجوز متصابي ، ألا تريد أن تتحول عن هذه الفكرة أبداً . .

ــ ولماذا أتحول عنها ، أى فرق بينى وبين أى شاب عادى . .

ــ هذا عيبك الوحيد يا عثمان ، أنت غير واقعى . .

ــ ولماذا ؟ أليس من حقى أن أتمتع بالحياة . .

ــ هذا حقك طبعاً ولكن لا ينبغى أن تدفع نفسك حيث الشباب والحب والجمال ، فإن لهذا من هم أصغر منك سناً . .

ــ هراء ، إننى أعرف كثيراً من الشبان حاولوا مزاحمة أمثالى فى هذا المضمار ففشلوا فشلا ذريعاً ، هذا بالإضافة إلى إننى أبغى من وراء ذلك أن أمنح أبنائى الجمال الذى حرمته عن طريق توريثهم صفات أمهم الجميلة . .

ــ وكيف ستهتدى إلى فتاة أخرى تتوفر فيها كل هذه الصفات؟

ــ سأكلف سكرتيري ليبحث لى عنها بين الأسر الكثيرة المتوسطة الحال التى يعرفها . .

ــ إذن فقد تخليت عن فكرة البحث عن فتاة ذات مكانة وثراء . .

ــ أليس هذا أفضل ؟

ــ طبعاً ، ولكن أتظن « فريد » يصلح لهذه المهمة ؟ . .

ــ إن « فريد » فى هذه المهمة من الطراز الأول . .

وعندما أخبر « فرج » زوجته بما استقر عليه عزم « عثمان »

بعد انصرافه استولت عليها الدهشة وقالت :

ــ يا للعجب ، أليست له أية فكرة عن شكله ، أما خطر له أن ينظر إلى سحنته فى المرآة . .

ــ لقد حاولت اقناعه ولكنه رفض فكرتى رفضاً باتاً . .

وكان « مجدي » يرقب والديه وينصت إلى حديثهما عن « عثمان » وزوجته المنتظرة من خلال غمائم الدخان المتصاعدة من غليونه ووجهه يبرق سروراً ، ولما دخل مخدعه المنعزل آخر الليل لينام انفجر مقهقهاً قهقهة عالية :

ــ ها . . . ها . . . ها ، يا له من خبر ، ابشر يا مجدى . . . ها . . . ها . . . ها . .

وفى هذه اللحظة انسلت الخادمة « نرجس » إلى الحجرة وأغلقت الباب وراءها ولم يفطن « مجدى » إلى انسلالها إلا بعد أن أصبحت على قيد خطوة منه . وكانت « نرجس » فتاة جميلة خلابة ممتلئة الجسم فى الثالثة والعشرين من عمرها ، أحبت « مجدى » حباً جماً وضحت فى سبيله بأعز ما تملكه كل فتاة ، أما هو فكان لا ينظر إليها إلا من حيث هى وسيلة سهلة لإرضاء شهواته . وتقدمت « نرجس » خطوة ثم مست ذراعه قائلة :

ــ ما الذى يضحكك كل هذا الضحك ؟

فأخذه شيء من الارتباك ثم استدار إليها وقال :

ــ ماذا ؟ ألا تزالين ساهرة يا نرجس ؟ . .

فطأطأت رأسها وقالت : لم أشأ أن أنام قبل أن تنام ، هل أنت بحاجة إلى شيء ؟ . .

فمد إليها ذراعه وجذبها إليه ولكنها تملصت منه قائلة :

ــ لا . . . لا . . . اتركني . . . اتركني . .

فنظر إليها عاجباً وقال : ماذا دهاك الليلة يا نرجس ؟ لماذا أنت مغضبة ؟ . .

ــ أجبني أولا عن سؤالي ، ماذا كنت تعني بهذا الضحك؟ لقد سمعتك بنفسي . .

ــ ماذا سمعت ؟ لقد كنت أضحك من فكرة عرضت لي .

ــ وهل لهذه الفكرة علاقة بالفتاة الجميلة التي ينوي عثمان (بك) أن يتزوجها . .

ــ إذن فقد سمعت الحديث الذي دار عنها . .

ــ نعم لقد سمعت كل شيء . .

ــ أليست فكرة مضحكة ؟ . .

ــ الزواج قسمة ونصيب ، ولكني أخشى شيئاً . .

ــ ما هو هذا الشيء ؟ . .

ــ إنني أخشى عليك من هذه الزوجة . .

فانفجر ضاحكاً : ياللك من بلهاء ، أتغارين من خيال ؟ .

فقالت فى انفعال : إننى أغار عليك من كل شىء ولسوف أنتحر إذا شاركتنى فيك امرأة أخرى . .

فتظاهر بالجزع قائلا : ويحك ، ما هذا الذى تقولين ، لماذا تفكرين هذا التفكير ؟ .

فانفجرت باكية : إننى خادمة بائسة وأخشى أن تهملنى وتنسانى . .

فجذبها إليه وضمها ضمة اهتياج وهو يقول :

ـ كيف أنساك يا نرجس ، ثقى أننى لن أنساك أبداً ، أنت لى كل شىء يا حبيبتى . .

فقالت فى ذلة وهى تتهالك على صدره :

ـ إذن لم لا تتزوجنى وتريحنى مما أنا فيه . .

ـ ولم السرعة يا نرجس ، لست أرى لها داعيا الآن . .

ـ ولكنى أرى لها أكثر من داع . .

ـ أنا معك ، ولكن الأفضل أن نتريث حتى لا نثير غضب أمى وأبى علينا . .

وحين حاولت الكلام مرة أخرى أسكتها بقبلة طويلة اختلج لها جسمها أشد اختلاج ثم نظر إليها وقال :

ـ تعالى يا نرجس ولا تضيعى الوقت فى كلام . .

الفصل الثانى

وكان « فريد » شاباً فى السابعة والعشرين من عمره مديد القامة ، أسمر البشرة ، مسنون الوجه ، نحيف الجسم ولكنه على نحافته كان قوى البنية يتميز بنفس طموح وثابة لا تعرف مللا ولا سأماً ، وكان إلى جانب ذلك شاباً اجتماعياً لطيف المعاشرة محبباً إلى جميع أقرانه وجيرانه فى الحى الذي يسكنه فى شبرا .
وكان أبوه موظفاً صغيراً يعول أسرة كبيرة ثم توفى وهو يهيئ أكبر أبنائه « فريد » لدخول الجامعة فاضطر الفتى إلى قطع صلته بالدراسة ليبحث عن عمل يوفر لأسرته الفقيرة ما تتطلبه من قوت ، وعاش سنوات وهو يكدح كدحاً عنيفاً فى مختلف المهن حتى ألحقه أحد الجيران من أصدقاء أبيه ويدعى « بكير » بعمل كتابى تحت رياسته فى مصنع « عثمان » الذى سرعان ما اصطفى « فريد » ليكون سكرتيره وموضع سره والصلة التى تربط بينه وبين الآخرين ، وتوثقت على أثر ذلك الصلات بين أسرة « فريد » وأسرة « بكير » باشكاتب المصنع وزادها توطداً تلك العلاقة القديمة التى كانت قد نشأت فى الخفاء منذ الصبا بين « فريد » و « شادية » تلك الفتاة اليتيمة الجميلة التى

كانت تعيش فى كنف زوج خالتها « بكير » بعد وفاة أبويها ، وقد بلغ من حب « فريد » إياها أنه كان يغار عليها منذ الصغر غيرة شديدة ولا يطيق أن تحدث شخصاً آخر غيره وخاصة من أبناء الجيران الذين كانوا يتهافتون عليها كلما لمحوها فى الطريق ، أما هى فكانت منذ الصغر تنفر نفوراً شديداً من الأطفال الذكور باستثناء فريد وذلك لما كان يتميز به من قوة ومهارة ومقدرة على سرد القصص والنوادر . فلما تخطيا مرحلة الصبا إلى مرحلة الشباب تعاهدا على الزواج ولكنهما أبقيا الأمر بينهما سرا مطوياً إلى أن يتاح لفريد من المال ما يؤهله لطلب يدها من خالتها وزوجها .

وفكر « فريد » فى أشياء كثيرة يرفع بها من قيمته فانتسب وهو فى الرابعة والعشرين إلى كلية التجارة إذ كانت بغيته أن يكون فى غده من رجال الاقتصاد ، واشتغل إلى جانب عمله فى المصنع بأعمال تجارية أخرى كثيرة ضاعفت ثروته المحدودة وأذاقته لذة الكسب ولذة الثقة بالنفس . وفيما هو يحلم أحلام السعادة والحب والمجد ويمنى نفسه باليوم الذى ستزف فيه « شادية » إليه إذا به يفاجأ بالنبأ المفجع ، نبأ موافقة « شادية » وأهلها على خطبتها لطبيب شاب ثرى من جيرانهم يدعى « بدر الدين » كان ينافسه فى حبها ويمنى نفسه كغيره من

شبان شبرا بالزواج منها ، وعندما استقر هذا الخبر المزعج المذهل فى أعماق قلبه ووجدانه ملكه يأس وسخط شديدان ، وأحس لأول مرة إحساساً لم يألفه طبعه من قبل وهو النزوع إلى الشر والانتقام . وأصبح « فريد » وليس يشغله إلا « شادية » وخطيبها « بدر الدين » فإذا جلس إلى مكتبه فى المصنع يفحص ملفاته طار بفكره إلى « شادية » وإذا فكر لحظة فى تنفيذ تعليمات « عثمان » وتصريف شئون موظفيه قطع عليه فكره خيال « بدر الدين » . وأثرت هذه الحال فى نفسه أشد تأثير فازداد نحوله وأصبح شارد الذهن قلقاً لا يرضى عن شىء ولا يطمئن إلى شىء .

وكان « بدر الدين » طبيباً ناشئاً عادى المظهر ولكنه كان شاباً ثرياً لبقاً جذاب الحديث ، وكان أول عمل مارسه بعد تخرجه فى كلية الطب أن فتح عيادة فخمة بجوار منزل « شادية » ثم جلس ينتظر القادمين من طالبى الشفاء وسرعان ما اجتذب إليه سكان الحى بشمائله وتوثقت الألفة بينه وبين جميع من خالطوه وعلى الأخص خالة شادية التى أنقذها من مرض عضال لازمها طويلا ، ومن هنا كثر اتصاله بهم واشتد اتصالهم به ، وكان « فريد » يزوره فى عيادته ويدعوه أحياناً لزيارته فى منزله ولكن لم يخطر له قط أن هذا الشاب الوديع

المسالم سيكون خطراً عليه وعلى حلمه الجميل ، وأنه سيصبح مزاحماً عنيداً يأخذ عليه الطريق ، ثم تكشفت له الأيام عما تكشفت عنه فإذا الأثرة هى قوام الحياة وإذا المال هو أقوى سلاح فى الوجود . وما أكثر ما خطر له من خواطر الشر وما ثار فى قلبه من عواطف السوء وقتذاك ولكنه ضاق آخر الأمر بكل هذا وقرر أن يكتب كتاباً إلى « شادية » بعد أن قطع صلته بها بضعة أسابيع عله أن يصل من ذلك إلى ما يشفيه من أحزان قلبه وأسقام بدنه . وذات يوم نهض مبكراً وكتب لها رسالة أشار فيها إلى مبلغ ما يكنه لها من حب وما يعانيه من شجن وعذاب ونال بالقدح مسلكها الذى سلكته . ولم ترد « شادية » فزادته حنقاً على حنق حتى كاد ينشق من الغيظ والكمد . وعاد مرة أخرى فكتب إليها كتاباً رماها فيها بالغدر والخيانة وما هو أقسى من الغدر والخيانة وحز فى نفسه مرة أخرى ألا تكتب إليه وألهبه ذلك تطلعاً إلى أنبائها وملأه غضباً عليها بقدر ما زاده تعلقاً بها .

وأخيراً ردت « شادية » ولكن عن طريق التليفون ، وكان فى ذلك الوقت جالساً إلى مكتبه فى المصنع مكباً على بعض أوراقه فلما أمسك بالسماعة وسمع صوتها الساحر الرقيق شعر بتلك الهزة التى طالما شعر بها كلما رآها تخطر أمامه . قالت له :

ـ أنا « شادية » يا فريد . .

ـ أهلا وسهلا . .

ـ كنت على وشك أن أكتب إليك ولكنى فضلت أن أتحدث معك بالتليفون . . . أأنت وحدك ؟ . .

ـ نعم .

ـ لقد وصلتنى رسائلك التى بعثت بها إلى مع أختك الصغيرة ، وأريد بهذه المناسبة أن أطلب طلباً . .

ـ ما هو مطلبك ؟ . .

ـ إنها مسألة سخيفة جداً . . أريد باختصار أن أقابلك على انفراد . .

ـ بكل سرور ، متى وأين ؟ . .

ـ أيوافقك غداً الساعة العاشرة صباحاً بكازينو الأهرام . .

ـ حسن ، سأكون فى انتظارك فى نفس الزمان والمكان . .

ـ شكراً ، إلى اللقاء . .

وبعد المحادثة تمطى فى مقعده وهو يتطلع إلى شىء لا يتبينه ولكنه مشرق بهيج ، وهذا الشىء هو ما اصطلح الناس على تسميته بالشعور بالأمل .

وفى فجر اليوم التالى صحا « فريد » من رقاده قبل الشروق على الرغم من أنه نام بعد طول سهر وتفكير . وبعد أن تناول

فطوره مع والدته وإخوته الصغار خرج وركب الترام وقصد إلى شارع الهرم . وبعد ساعة كان يجلس داخل الكازينو أمام إحدى الموائد وقد بسط أمامه صحيفة ليخفى قلقه واضطرابه ، وبعد وصوله بنصف ساعة أهلت على القاعة التى كان يجلس فيها فتاة فى الثانية والعشرين بهية الطلعة ، ذهبية الشعر ، ممشوقة القوام ، ساحرة العينين ، بارزة النهدين ، فى وجهها جمال أخاذ ، وفى جسدها فتنة تدير الرأس ، وكانت ترتدى ثوباً أحمر اللون يكشف عن صدر بض وأنوثة صارخة ، وفى الشق الأيسر من صدرها مشبك ماسى كبير يخطف سناه الأبصار . وتقدمت فى رشاقة إلى الداخل والعيون محدقة بها من كل جانب فلما أحس فريد مقدمها نهض للقائها باسم المحيا فتقدمت منه وصافحته قائلة :

ـ صباح الخير . . . آسفة جداً لتأخرى ، هل تأخرت كثيراً ؟ .

ـ كلا . . . تفضلى . .

فقالت وهى تأخذ مكانها أمامه ـ هيه . . كيف تجد هذا المكان ؟ . .

ـ إنه مكان بديع للغاية . .

ـ إذن فأنت ما زلت تطرى ذوقى ؟ . .

ـ إننى أطرى ذوقك دائماً . .

وفطن « فريد » إلى أن حضور « شادية » استرعى انتباه معظم الرجال الذين كانوا يجلسون غير بعيد منهما فحملق فيهم كى يغضوا أبصارهم ولكنهم لم يحفلوا بأمره وأخذوا يرمقونها كالمسحورين ويتابعون كلامها فى شغف وإعجاب ملحوظ ، واشتد اهتمامهم وتعجبهم بعد وقت حتى همس أحدهم :

ـ ما أجملها وما أجمل هذا الثوب على جسدها . .

وبلغ العجب بآخر أنه صدم كأس شرابه بيده فسقط على الأرض فاحمر وجهه من شدة الخجل والارتباك . واسترعت هذه الضجة التفات « شادية » وكانت تعرف أنها تبث فى الرجال أثراً قوياً غير مألوف ، فلما أدركت الموقف الذي طالما صادفت مثله ابتسمت ابتسامة زهو ومباهاة وراحت تتملى محاسنها فى مرآة على الحائط المواجه لها فى شغف ولذة وسرور ، ولاحظت بعد وقت أن « فريد » قد تملكه ضيق شديد فأشارت عليه بالإنتقال إلى مائدة منعزلة ثم نهضت وهى تنظر حولها فى غبطة فائقة وتقدمته إلى مائدة متطرفة ولما جلسا نادى الجرسون ثم التفت إليها قائلا :

ـ ماذا تطلبين ؟ . .

ـ أريد قدحاً من الشاى وبعض الحلوى . .

ولما جاءهما الجرسون بالشاى والحلوى تولى « فريد » صب الشاى فى الأقداح ، وعندما قدم لها قدحها قالت له :

ـــ لم تسألنى بعد لماذا حضرت ؟ . .

ـــ ولماذا أسأل ، هذا كرم منك . .

فتشاغلت لحظة بإصلاح مشبكها الماسى فنظر إليها ثم إلى المشبك وقال وهو لا يحول نظره عنه :

ـــ من أين لك هذا المشبك الثمين يا شادية ؟ . .

فقالت فى صراحة : إنه من بدر الدين . .

فقال وهو يكظم انفعالا سرى فى جسده كالكهرباء :

ـــ إذن فقد صح اعتقادي . .

ـــ ماذا تعنى ؟ . .

ـــ أعنى أن اختيارك لم يقع عليه إلا لماله ، أليس كذلك ؟.

ـــ يجب أن تعرف يا فريد أن الأمر لم يكن بيدى ، لقد جئت لأؤكد لك أن خالتى هى التى أرغمتنى لأنها كما تعلم مدينة بحياتها لبدر الدين . .

ـــ هراء . .

ـــ بل هذه هى الحقيقة . .

ـــ ولماذا لم تعترضى ؟ . .

ــ لم أشأ أن أخالفها وهى بمنزلة أمى ولرأيها فى نفسى مقام كبير . .

ــ أتريدين منى أن أصدق هذا الكلام ؟ . .

ــ قسما إننى لم أقبل هذه الخطبة عن طيب خاطر . .

فاعترته نشوة لهذا الاعتراف وقال : إذا كان الأمر كذلك فلم لا تحاولين إقناعها مرة أخري ؟ . .

ــ لقد حاولت ولكن بدون جدوى . .

ــ عجباً لك يا شادية ، إنك فتاة راجحة العقل وقد بلغت من السن ما يؤهلك لأن تبنى مستقبلك بنفسك ، فكيف ترضين لغيرك أن يتدخل فى شئونك على هذه الصورة . .

ــ كل هذا صحيح ، ولكنى لا أستطيع أن أفعل شيئاً يغضب خالتى . .

ــ الزواج ليس أمراً سهلا يا شادية ، وتدخل الغير فيه قد يضر . .

فطأطأت رأسها وطفقت تعبث بالمشبك لحظة ثم قالت :

ــ لا فائدة لى كما لا فائدة لك من هذا الكلام يا فريد ، لقد قضى الأمر . .

ــ إن الأمر لم يقض بعد ما دام القران لم يعقد . .

ــ إن القران سيعقد فى الأسبوع القادم يا فريد . .

فانتفض فى مكانه كالملسوع وقال :

ــ الأسبوع القادم ! ! ويحك يا شادية ، هذه مباغتة قاتلة ــ

فقالت وهى تلاطف يده :

ــ لا تجزع هكذا يا فريد ، ثق أننى لن أنسى صداقتك أبداً . .

ــ صداقتى ! ! . .

ــ نعم ، إن صداقتنا يجب أن تدوم . .

ــ وماذا يهمك من أمر صداقتى بعد أن آثرت على غيرى ؟

ــ إننى لا أطيق تصور بعدك عنى . . .

ــ لست أحب أن تقولى هذا يا شادية ، فليس من النبل محاولة خداع شاب فى مثل موقفى . .

ــ ما أقساك يا فريد ، كيف تقول ذلك إن كنت تحبنى .

ــ إنك تظلمين أشد الظلم حين تنسين أمراً . .

ــ ما هو ؟ . .

ــ إنك تنسين أنك حطمت حياتى وأشقيتنى شقاء لا مزيد عليه . .

ــ قلت لك إن الأمر لم يكن بيدى ، لم لا تصدقنى . .

فانفجر غيظاً ــ أتظنين أننى أصدق هذ الكلام ،

لو كنت تحبينني حقًّا لما وافقت على الزواج منه ولكنني عرفت الآن أي فتاة أنت ، وكان يجب أن أعرفك من قبل على حقيقتك ولكنى كنت غريراً أحمق . .

فحامت حول فمها بسمة غريبة وقالت مستنكرة : ما هذا الكلام يا فريد ، أرجو أن تزن كلامك قبل أن تتفوه به .

فقال فى حدة : دعيني أتحدث بصراحة وإلا غابت عنك الحقيقة ، لقد كنت لى بهجة الحياة وقوت الروح وكنت أحبك حبًّا جنونيًّا مطبقاً ، وكنت أحسبك تبادلينى حبًّا بحب ولكنى عرفت الآن حقيقة شعورك نحوى ، فإن كنت تعتقدين أن هذه المجاملات تعوضني عن الحب فما أجهلك بالحب ، وما دمت قد وطأت حبي بقدميك وآثرت علىّ غيرى فسأحاول أن أخرجك من قلبي وسوف أعيش بعد اليوم حياة تقطر حقداً وشرا وكراهية لك وللناس جميعاً . .

فقالت وهى تلاطف يده : أتوسل إليك أن ترفق بنفسك يا فريد . .

فأجابها وهو يجذب يده بعيداً : دعيني وشأنى .

فابتسمت ابتسامة رقيقة وقالت فى صوت حنون :

— أليس من حقى أن أقلق عليك . .

— كلا ، لقد فقدت هذا الحق من الآن . .

ـ لا . . . لا يا فريد ، محال أن أفقد هذا الحق مهما كانت الأسباب . . .

فقال فى حدة : كفى . . . كفى ، إنك تثيرين أعصابى ، يجب أن ينتهى الآن ما بيننا . .

فقالت وهى تنهض من مكانها مغضبة :

ــ أهذا جزاء صراحتى وإخلاصى ، أنا منصرفة . .

ــ دعينى أوصلك إلى ميدان الجيزة . .

ــ لا داعى لأن تجشم نفسك هذا العناء . .

ــ لا ينبغى أن تغادرى الكازينو بمفردك . .

ــ ولماذا ، أن ذلك يسرنى . .

ــ كيف يسرك ذلك ، يجب أن أرافقك حتى لا يعترض طريقك معترض . .

ــ ليس بوسع أحد أن يعترض طريقى . .

ــ خفضى من صوتك يا شادية ، لا يجمل بنا أن نحتد هكذا أمام الناس . .

ــ قلت لك لا داعى لمجيئك ، إن سيارتى تنتظرنى بالخارج .

ــ سيارتك ! ! متى كانت لك سيارة ؟ . .

ــ أتستكثر على سيارة ؟ . .

ــ معذرة ، لم يكن من حقى أن أسأل ، ولكن خبرينى

هل رافقك أحد إلى هنا ؟ . .

ــ كلا ، اطمئن ، إننى أسوقها بنفسى . .

ــ أتسوقين السيارة بنفسك ؟ متى تعلمت القيادة ؟ . .

ــ منذ ثلاثة أسابيع ، أيدهشك ذلك ؟ . .

ــ كل الدهشة . .

ــ إذن تعال وشاهد بنفسك . .

ــ سأرافقك فقط إلى الباب . .

وسارا إلى الخارج حيث كانت تنتظر « شادية » سيارة صغيرة أنيقة المظهر ، وخرج وراءهما رجلان حملق أحدهما فى شادية من فرعها إلى قدمها مدهوشاً وقال الرجل الآخر وهو يتمايل من شدة السكر :

ــ يا إلهى . . . ما أجملها . .

ثم وجه إليها عبارة نابية فلما سمع فريد ما قال هاجه أن يراها تهان وهى معه فسرعان ما هجم على الرجل ولكمه لكمة قوية ألقته على الأرض ، وبعد هنيهة نهض الرجل وكر راجعاً فوقف له فريد متأهباً للدفاع ولكن الرجل توقف فى منتصف الطريق وقال وهو ينسحب من أمامه :

ــ أرجو عفوك . .

ولما انصرف الرجلان التفتت « شادية » إلى فريد وقالت :

ـ أنا آسفة لما حدث . .

ـ لست أرى موجباً للأسف . .

ـ إذن دعنى أشكرك على ما فعلته من أجلى . .

ـ إنى لم أفعل شيئاً يستحق الشكر ، إنما فعلت ما يمليه على الواجب . .

ولما اقتربا من السيارة قالت له وفى عينيها رجاء :

ـ ألا تريد أن أصحبك إلى الجيزة ؟ . .

ـ كلا . . . شكراً لك . .

فأمسكت ذراعه بلطف قائلة : أضرع إليك يا فريد . .

فجذب ذراعه وقال ونفسه تعج بشتى الانفعالات :

ـ لا أستطيع أن أركب سيارته معك ، وإلا احتقرت نفسى . .

فأمسكت عن الكلام هنيهة ثم قالت وهى تتأمل وجهه المكفهر .

ـ أنت وشأنك يا فريد ، ولكن ما دمنا سنفترق فلنفترق كصديقين وإلا فلن ترانى أبداً .

فخفق قلبه لدى سماعه تلك العبارة واعترضت حلقه غصة كأنها زفرة متجمدة ، وكانت قد صعدت إلى السيارة ومدت إليه يدها وهى تحدق فى وجهه طويلا فرأت شفتيه تختلجان وفجأة رأته يمسك يدها ويهوى عليها بفمه وهو يهمهم بكلمات مبهمة لم تستبن منها شيئاً .

الفصل الثالث

وعاد فريد إلى منزله بعد هذا اللقاء ممزق النفس ، شارد الذهن ، مضطرب بين الحقد والثورة والرغبة فى الانتقام ، وبين الحب والشوق والرغبة فى الاستسلام ، وفى الصباح خرج إلى عمله ولم يكد يصل إلى مكتبه فى المصنع حتى ارتمى على مقعده متأففاً وتناول ملفاً من الملفات المرصوصة أمامه ونظر فيه وقلب بعض أوراقه ثم تركه وتناول غيره وحاول أن يركز فيه تفكيره ولكن دون جدوى فقد كان عقله وقلبه وعواطفه كلها مع شادية ، وبعد لحظات سمع جلبة الساعى خارج المكتب فكان ذلك إيذاناً بوصول « عثمان » . ولما دخل عثمان رآه « فريد » على غير ما تعود أن يراه ، رآه أنيق الهندام ، مشرق الوجه ، مصبوغ الشعر ، خفيف الحركة فوقف يحييه ويتأمل مدهوشاً ، ولما لاحظ عثمان ما عراه ابتسم له وقال :

ــ تعال إلى مكتبي . . . عندى لك مفاجأة . .

ولما استقر بهما المجلس التفت إليه فريد وقال :

ــ خير إن شاء الله . .

فقال عثمان وهو يتأمل وجه سكرتيره ليرى فعل كلماته في نفسه :

ــ سأبوح لك الآن بسر . .

ــ سر ! ! ترى ماذا هنالك ياعثمان (بلك) ؟

ــ لقد قررت الزواج دون إبطاء . .

فنظر إليه في دهشة واهتمام وقال : قررت الزواج ! ! أجاد أنت في قولك يا عثمان (بلك) ؟ . .

ــ طبعاً ، أليس من الرشد أن نتزوج قبل أن يدهمنا الموت . . .

ــ بكل تأكيد . . .

ــ ولكن ألا يدهشك أن أفكر في الزواج بعد أن بلغت هذه السن ؟ . .

ــ ما هذا الكلام يا عثمان (بلك) ، إنك ما زلت في عنفوان الرجولة . .

فلاحت على فمه ابتسامة عريضة وقال :

ــ إذن فأنت تعتقد أن التوفيق سيكون حليفي . .

ــ ولم لا ، إن علو مكانتك وعظم جاهك وشخصيتك الفذة ترشحك لأفضل النساء . .

ــ ولكنك لم تعرف بعد رأيي في الفتاة التي أصبو إليها . .

ـ أى نوع من الفتيات تريد ؟ . .

ـ أريد فتاة رائعة الجمال فى مقتبل العمر ، لأننى أعتقد أن هذا الصنف يعطى أنفس ما فى الوجود ألا وهو الشباب ، أليس كذلك ؟ . .

ـ تماماً يا عثمان « بلك » . .

ـ ما دمنا متفقين فدعنى أطلب منك خدمة . .

ـ أنا رهن إشارتك يا عثمان « بلك » ، ماذا تريد ؟ . .

ـ أريد أن تبحث لى بين الأسر الكثيرة التى تعرفها عن فتاة بهذه الأوصاف . .

فشرد فريد بفكره قليلا ثم التفت إليه وقال :

ـ أعتقد أننى أعرف فتاة تنطبق عليها هذه الأوصاف تمام الانطباق . .

فتورد وجه عثمان وقال فى لهفة :

ـ من ؟ . .

ـ الآنسة « شادية » قريبة الأستاذ « بكير » ، إنها آية من آيات الجمال . .

فهز عثمان رأسه قائلا : أتعنى تلك الصبية التى جاءت معه مرة إلى هنا منذ بضع سنوات ؟ . .

ـ إن هذه الصبية قد اختفت الآن وحلت محلها غادة

مكتملة لا نظير لجمالها . .
ـ أحقاً ما تقول ؟ . .
ـ هذه هي الحقيقة ؟ . .
ـ أتستطيع أن تصفها لى . .
ـ إنها تحفة رائعة تفوق كل وصف . .
ـ أهي جميلة إلى هذا الحد . .
ـ إلى أبعد حد ، إنها خلقت كما تشاء .
فقال عثمان وهو يفتل شاربه :
ـ ما دام الأمر كذلك فلابد أن أراها . .
ـ إذا كانت هذه نيتك فيجب أن تعجل ، لأن الفتاة قد تتزوج عما قريب .
ـ هل تقدم إليها أحد ؟
ـ نعم ، طبيب شاب من جيراننا . .
ـ إذن فأنت تعرفه . .
ـ إننا متجاوران متعارفان من زمن بعيد وبهذه المناسبة أرجو ألا يعلم بكير أو أحد من أفراد أسرته أنني الذى أشرت عليك بذلك . .
ـ كن مطمئناً ، لن يأتى اسمك على لسانى ، والآن سأذهب إلى بكير لمفاتحته فى الأمر . .

وترك عثمان مكتبه على الفور واتخذ سمته فى ممر طويل متعرج حتى اقترب من جناح الموظفين ، وكان خبر وصوله قد بلغهم فانقطعت أحاديثهم وعكف كل واحد منهم على عمله فى جد ملحوظ ، أما هو فقد مضى فى طريقه حتى بلغ باب حجرة « بكير » وبعد أن توقف قليلا طرق الباب ودخل ولم يكد « بكير » يلمحه داخلا عليه حتى هب واقفاً وأسرع إليه يحييه وهو يغمغم فى تأدب واحتشام :

ـ سعادة البيه . . . أهلا . . . وسهلا . .

فصافحه عثمان فى رقة قائلا : كيف أنت يا بكير ، أكل شىء على ما يرام ؟ . .

ـ على أحسن ما يرام يا سعادة البيه . .

فأمسك بذراعه فى مودة وقال : لقد جئت فى زيارة قصيرة لأكاشفك بأمر يهمنى . .

ـ تفضل يا سعادة البيه . . . تفضل . .

وأسرع وقدم إليه كرسياً فجلس عثمان ووضع ساقاً على ساق ثم دعاه للجلوس بجانبه فجلس على أحد المقاعد فى تأدب ورفع إليه بصره متطلعاً وهو يتوقع أن يحدثه فى شئون عمله فوجده يدقق النظر فى وجهه ويقول :

ـ أنا عاتب عليك أشد عتاب يا بكير . .

فنظر إليه بعين حائرة وقال متلعثما : تعتب على ، ولماذا يا سعادة البيه . .

ـ لأنك أخفيت عنى شيئاً . .

فنظر إليه نظرة تنم عن قلق وحيرة ودهشة وقال : أنا أخفيت عنك شيئاً ! ! حاشا لله يا سعادة البيه ، ماذا أخفيت عنك يا عثمان بيء .

فنظر إليه مبتسما وقال : لقد أخفيت عنى وجود عروس جميلة فى منزلك يا بكير . .

فتنهد الآخر وقال فى جذل وارتياح :

ـ ماذا ؟ أتقصد شادية يا عثمان بيه ؟

ـ نعم ، أمخطوبة هى حقيقة ؟ . .

ـ أجل ، وسيعقد قرانها قريباً .

ـ آه ، يظهر أننى جئت بعد فوات الوقت . .

فنظر إليه بكير مستطلعاً وقال : ماذا تقصد يا سعادة البيه .

ـ أقصد أننى كنت أريدها لنفسى ، ولكن يظهر أننى سيئ الحظ يا بكير . .

فقال الآخر وقد أضاءت فى عينيه لمعة تنم عن فرحه وابتهاجه :

ـ هون عليك يا سعادة البيه ، إذا كنت تريدها حقاً

فثق أنها لك من الآن . .

فحدق فيه قائلا : وخطيبها ؟ . .

ـ سأسوى الأمر معه . .

ـ وهى ؟ أتظن أنها توافق ؟

ـ أترك هذا الأمر لى ، سأدبر كل شىء بنفسى . .

ـ إذا وافقت « شادية » فسأبذل فى سبيل إسعادها أثمن ما عندى . .

ـ كن واثقاً أنها لك من الآن ، هذا شرف عظيم يا عثمان بيه . .

ـ شكراً لك يا بكير ، ومتى أستطيع أن أزورك لأراها . .

ـ فى أى وقت تشاء . .

ـ أحب أن تضرب موعداً ؟ . .

ـ تفضل غداً حوالى السابعة مساء .

ـ حسناً ، إلى اللقاء يا بكير . .

الفصل الرابع

وحالما فرغ « بكير » من عمله فى المصنع انطلق إلى الفيلا الصغيرة التى كان يقيم فيها بشبرا والفرح يطفر من جميع أجزاء بدنه ، ولما رأى زوجته أقبل عليها متهلل الوجه وقال :

– أين شادية ؟

– بالطابق العلوى .

– لقد جئت لك بنبأ لا يطرأ على بال . .

– خير إن شاء الله . .

فأمسك بذراعها يضغطه قائلا :

– تعالى إلى الصالون لنتحدث فى الأمر قبل مفاتحة شادية . .

فأسرعت وراءه ولما استقر بهما المجلس التفت إليها وقال :

– سيزورنا عثمان (بلك) غداً . .

فحدقت فيه مدهوشة وقالت : عثمان (بلك) يزورنا ! ! . .

– خبر عظيم ، أليس كذلك ؟

– طبعاً ، هذا تنازل كبير منه . .

– ولكنك ستدهشين أعظم الدهشة عندما تعرفين السبب

الذى سيجئ من أجله ، أتدرين لماذا ؟ . .

ــ ومن أين لى أن أعرف .

ــ إنه سيزورنا ليخطب شادية لنفسه . .

فضربت المرأة صدرها وقالت فى جزع ودهشة :

ــ يخطب شادية !! والدكتور بدر الدين ؟ . .

ــ لا عليك ، سأسوى الأمر معه . .

فقاطعته قائلة : لا . . لا ، لا يمكن أن أوافق على ذلك . .

ــ كيف لا توافقين ؟ أين بدر الدين من مليونير ملحوظ المكانة مثل عثمان (بيه) ؟ . . .

ــ شادية لا يمكن أن توافق على الزواج من رجل كهل مثل عثمان (بيه) . .

ــ من قال إنه رجل كهل ، إنه يملك من النشاط والحيوية ما لا يملكه شاب فى عنفوان الشباب ، وفضلا عن ذلك فإن وراء هذا الأمر مصلحة لنا لأننى فى هذه الحالة سأتقلد أكبر وظيفة ادارية فى المصنع . .

فهزت رأسها قائلة : واو ، إننى لا أرضى لشادية أن تتزوج زواج مصلحة ومن الخير أن تتزوج من بدر الدين لأنها تحبه وهو يحبها حبًّا لا مزيد عليه ، هذا علاوة على أنه شاب كامل وأمامه مستقبل عظيم . .

فقطب جبينه وقال فى شىء من الحدة والخشونة :

— ولكننى لن أوافق على زواجها من بدر الدين بحال من الأحوال .

— ولماذا ؟ أى عيب فى بدر الدين ؟ . .

— هذا رأيى فى الموضوع ولن أتحول عنه . .

— أهذا هو جزاء جهده فى خدمتنا ؟ . .

— إننى لا أنكر فضله عليك ولكن فضل عثمان (بيه) غمرنا جميعاً . .

— ولكننا اتفقنا معه وليس هناك ما يدعو إلى أن ننقض معه هذا الاتفاق . .

— إننى لم أتفق معه على شىء ، أنت التى أرغمتنا على قبوله . .

— لست أدرى فيم بغضك لبدر الدين مع أنه لم يسىء إليك بلفظ أو عمل . .

فحدجها بنظرة صارمة وقال : ماذا تقصدين ؟ . .

فرفعت إليه رأسها وأحدت فيه بصرها وقالت :

— أقصد أنه ما كان يجمل بك أن تعامله هذه المعاملة القاسية التى طالما لقيها منك هنا مع أنه لا يضمر لك سوى الاحترام والصفاء . .

ـ إننى لا أكرهه ولا أذكر أننى أسأت إليه ، ولكنى قلت وما زلت أقول إن درة ثمينة مثل شادية يسارع إليها الخطاب كل يوم ، لا ينبغى أن تتزوج زواجاً عادياً . .

فرمقته بنظرة حامية وقالت متهدجة النبرات :

ـ إننى لست من الغفلة بحيث أجهل حقيقة شعورك نحو شادية ، كما أننى لا أستطيع الإغضاء فوق ما أغضيت بعد الآن . .

ـ ما معنى هذا ؟ . .

ـ سل نفسك ، سلها لماذا حلت بينها وبين الزواج إلى الآن ، سلها لماذا طاردت كل شاب تقدم يطلب يدها دون مبرر . .

فالتمعت فى عينيه نظرة مريبة وقال :

ـ إننى ما فعلت ذلك إلا حرصاً على مصلحتها ، ومع ذلك فأنا حر فى تصرفاتى . .

فقالت فى حنق وانفعال : أنا لا أحب أنّ أناقشك فى تصرفاتك ولكن إذا كان فى هذه التصرفات ما يخدش الكرامة فإن من حقى أن أسأل وأن أناقش ، أتظن أننى عميت عن رؤيتك وأنت تحوم حول شادية وترمقها بنظراتك المريبة كلما جمعتك بها مناسبة . .

فانتفض واقفاً وعيناه تقدحان شرراً وانفجر كالبركان :

ــ ويلك ، هل بلغت بلك الجرأة أن ترميني بهذه التهمة ، سأعرف كيف أضع حدًّا لكل هذا . .

وراح يذرع الحجرة وهو يهمهم بكلمات الوعيد والتهديد ، فنهضت إليه وحاولت أن تهدئ من ثورته ولكنه اندفع يسب ويصخب ويصيح بها :

ــ أخرجي ، أخرجي من أمامي . . . اذهبي ولا تريني وجهك . .

فأجهشت بالبكاء دفعة واحدة وهي تقول : سامحني يا بكير ... أنا آسفة لما بدر مني . .

فنحاها عنه في غضب وهو يقول : إذهبي ، لا صبر لي بعد اليوم على وساوسك وأوهامك ، إنها كلمتي الأخيرة .

فعرتها نوبة شديدة ولم يلبث أن بدا عليها الإعياء فجأة وما كادت تسقط مغشياً عليها حتى تلقاها بين ذراعيه ثم نقلها إلى مقعد وأخذ يعالج شأنها حتى أفاقت ، وعندما فتحت عينيها وأدركت الموقف قالت له :

ــ المعذرة يا بكير ، إن أعصابي ضعيفة فاغفر لي . .

فقال وهو يربت على كتفها ملاطفاً : غفرت لك ، حاولي أن تستريحي ، سأصعد الآن إلى شادية لأن الوقت ضيق

ولا ينبغى أن يضيع سدى ــ وتركها وخرج بعد أن رد الباب خلفه ثم صعد إلى الدور العلوى تتنازعه شتى الأفكار والنزعات والعواطف ، وعندما دنا من حجرة « شادية » اختلج فى نفسه ذلك الشعور الذي طالما انتابه كلما انفرد بشادية فى خلوة ، ومر بباله فى هذه اللحظة موقف وقفه منها حين دخل عليها يوماً فى حجرتها فوجدها نائمة على فراشها نصف عارية فما كان منه إلا أن تسلل على مهل وجر الغطاء عليها بعد أن أطال النظر إلى أجزاء بدنها العارية فى لذة بالغة . وكان باب حجرتها فى هذه المرة منفرجاً كالمرة السابقة فتوقف لحظة وراح يتسمع ولما لم يسمع صوتاً دنا خطوة أخرى إلى جوار الباب ولم يكد يفعل ذلك حتى وقف مأخوذاً ، ذلك أنه رأى فى المرآة المواجهة للباب « شادية » مستلقية على فراشها تطالع كتاباً وعليها غلالة شفافة من الحرير الوردى ، فوقف بجوار الباب يحدق فى المرآة وينقل بصره الزائغ فى أجزاء بدنها وهو صامت ، ثم ألفاها تحرك ساقاً فوق ساق فجحظت عيناه واختلجت شفتاه وسبح العرق على جبينه ، وغاب عنه فى غمرة انفعاله وذهوله أنها كانت تراقبه خفية فى المرآة ولكنها تظاهرت بعدم رؤيتها له لترى مدى سلطان جمالها على نفسه ولترضى فى نفسها ذلك الميل الغريب الشاذ الذى كان يدفعها دائماً إلى إثارة الرجال وتعريضهم إلى

المواقف المخزية الذليلة التى تظهرهم فى أبشع مظهر وأرذل خلق وأقبح صورة .

وظل « بكير » واقفاً فى مكانه فاغر الفم بضع لحظات ثم تقدم وطرق الباب ودخل فأسرعت شادية وطوت الكتاب ثم ابتسمت له وقالت وهى تضع ثوباً آخر على بدنها :

ـ أهلا وسهلا . .

فقال وهو ينتزع الكلمات من فمه فى جهد :

ـ أهلا بلك يا شادية ، كيف أنت ؟ .

ـ على خير ما يرام ، وأنت ؟ . .

ـ فى أحسن حال . .

وأخذ مكانه على طرف السرير ثم قال لها :

ـ المعذرة عن إقلاق راحتك فى هذا الوقت ، لقد جئت لأخبرك بنبأ هام جداً . .

ـ نبأ هام جداً ! ! ترى ماذا وراءك يا عمى ؟ . .

ـ عثمان بلك سيزورنا غداً . .

فأشرق وجهها وقالت فى دهشة وابتهاج :

ـ عثمان بلك يزورنا ! ! أجاد أنت فى قولك يا عمى ؟ . .

واعتدلت جالسة فى فراشها وهى تتطلع إليه فى لهفة واهتمام شديدين ، فروى لها كل ما حدث بينه وبين عثمان (بلك) ،

وهي شديدة الإصغاء إليه وما إن انتهى من حديثه حتى ابتدرته قائلة وهي تتأمل محاسنها فى المرآة :

ــ يا لها من مفاجأة ، لو لم تخبرنى أنت بها لما صدقت . .

فدنا منها وأخذ يدها يلاطفها وهو يقول

ــ ولماذا لا تصدقين ، إن فتاة فى مثل بهائك وكمالك لا يستكثر عليها ذلك . .

ــ ولكن يا عمى . . .

ــ ولكن ماذا ؟

ــ أتظن أن خالتى توافق ؟ . .

ــ لقد عرضت عليها الأمر فلم تمانع اقتناعاً منها بأن هذا الزواج سيوفر لك أقصى ما تنشدين من الهناءة والسعادة . .

ــ لا شك فى ذلك يا عمى . .

ــ إذن فأنت موافقة . .

ــ أنا لا أعترض على رغبة لكما ولكن ماذا سنقول لبدر الدين . .

ــ لا يشغل بالك شيء ، دعى هذا الأمر لى . .

ــ أحب أن أعرف ما ستقوله له . .

ــ سأخبره أننا نضمر له عاطفة طيبة ولكننا لا نستطيع الاعتراض على مشيئة عثمان (بك) ولى نعمتنا . .

ـ حسن ؛ وماذا عن هداياه . .

ـ سأردها إليه ، ولن يمر يوم حتى يغمرنا عثمان (بك) بهداياه النفيسة . .

ونهض وهو يرنو إليها فى تودد وإعجاب وعندما مدت إليه يدها أخذها بين يديه وقال وهو يضغط عليها فى حرارة :

ـ ألف مبروك يا شادية ، سوف تصبحين عما قريب زهرة من زهرات المجتمع الراقى . .

فانبسطت أسارير وجهها وقالت :

ـ شكراً لك يا عمى . . سأضم هذا الفضل إلى أفضالك الكثيرة التى طوقت بها عنقى . .

ـ لا تقولى هذا الكلام يا شادية ، أنت فى مقام ابنتى ولا يهمنى فى الحياة سوى سعادتك . .

وحوالى الساعة السابعة مساء قرر « بكير » أن يقوم بمحاولة حاسمة لقطع علاقة شادية ببدر الدين فغادر منزله وقصد إلى عيادته ودخل تواً إلى قاعة الاستقبال ، وكان بدر الدين قد فرغ لتوه من معالجة آخر مرضاه . فلما رآه هرول إليه فى هشاشة وقال وهو يحييه ويشد على يده فى حرارة :

ـ مساء الخير يا عمى . . . أهلا وسهلا . . .

فرد تحيته بتحية مقتضبة ثم قال : أريد أن أسر إليك بنبأ يا بدر . .

ــ أي نبأ ؟ . .

ــ نبأ يخصنا جميعاً ، فهل لنا أن نجلس على انفراد . . .

فحدق فى وجهه مستفسراً وقال :

ــ تفضل . . . تفضل . .

وقاده إلى مكتبه وأغلق عليهما الباب ولما استقر بهما المجلس التفت إليه بدر الدين وقال :

ــ كيف حال شادية ؟

ــ على ما يرام .

وسكت لحظة ثم قال : لقد جئت لأرجو منك أن تسدى إلى جميلا . .

ــ أنا رهن إشارتك يا عمى ، فماذا تريد ؟ . .

فتريث قليلا ثم قال : أريد بصراحة أن تقطع علاقتك بشادية .

فهب بدر الدين واقفاً ينظر إليه وقد تقلصت عضلات وجهه وصاح به :

ــ ماذا تقول ! ! ماذا جرى ؟ . .

فأجابه وهو يتظاهر بالإشفاق عليه : إننى أرثى لك من كل قلبى ولكنى مضطر إلى أن أكاشفك بأمر وهو أن عثمان

(بك) صاحب المصنع الذي أعمل به طلب الزواج منها فلم نملك إلا الموافقة . .

فاحمرت عيناه واكفهر وجهه وانطلق يهمهم :

ــ هذا غدر ، هذه خيانة ، أنتم لا تقيمون للعهد وزناً . . .

فقال الآخر مغضباً : هذه إهانة ، كيف تخاطبني بهذه اللهجة . .

ــ إنني لا أهينك ، ولكن من حقي أن أعرف السبب الحقيقي الذي حمل شادية على العدول عن رأيها . .

ــ قلت لك أن مشيئة عثمان (بك) لا يمكن أن ترد . .

ــ أهذا هو السبب أم لأنني دونه ثروة وجاهاً ؟ . .

ــ أراك تعاود إهانتي ، أنا منصرف . .

وهرع إلى الباب فما أن بلغه حتى ألفى بدر الدين يلحق به ويقول :

ــ يظهر أنني أسأت إليك ، أرجو المعذرة . . .

فقاطعه قائلا : كفى . . كفى ، لا داعي للاعتذار ، لقد أثبت أنك شاب عصي لا يطاق . .

فأمسك بذراعه وقال متوسلا : أرجوك يا عمي ، لقد كانت الصدمة شديدة الوقع علي ، فاعذرني . .

فالتفت إليه وقال فى هدوء : حسناً ، والآن هل يهمك أن ترى شادية سعيدة ؟ . .

ـ يهمنى ذلك جداً يا عمى ، إننى ما زلت أكن لها كل إعزاز ومودة وتقدير . .

ـ إذن عدنى ألا تتدخل فى شأن من شئونها بعد الآن . .

ـ أعدك بذلك . .

فمد بكير يده إلى جيوبه وأخرج ثلاث علب ثم وضعها على منضدة وهو يقول :

ـ هذه هداياك ، أما السيارة فقد تركتها لك فى الجاراج . .

ـ هذه أشياء لا تستحق الذكر ، أرجو أن تردها إليها . .

فقال وهو يهم بالانصراف : شكراً . . . لسنا بحاجة إليها . .

وعندما عاد بدر الدين إلى مكتبه وقف بجوار النافذة المطلة على غرفة نوم شادية وشفتاه تختلجان ورأسه تموج بمختلف الأفكار ، وقضى وقتاً مهتاج الأعصاب ، مضطرب الفكر ، موزع النفس ، وأخيراً ترك مكانه من النافذة وارتمى على أحد المقاعد وفى عينيه دموع لم تنسكب .

الفصل الخامس

وفى الساعة السابعة من مساء اليوم التالى دخل خادم « بكير » وأعلن قدوم عثمان فأسرع بكير وزوجته لاستقباله عند الباب وتبعتهما شادية على مهل فألفته ينزل من سيارة كبيرة فخمة ويتقدم فى خطى خفيفة ناحية باب الحديقة فلما أبصرها واقفة على عتبة الباب الداخلى وقف لحظة مأخوذاً ثم أسرع نحوهم متهلل الوجه وصافحهم ولما جاء دور شادية وقف قبالتها يتوسمها وهو يقول فى دهشة بالغة :

ــ يا عجباً ، أهذه شادية ! !

فتضاحك بكير وقال : أتراها قد تغيرت كثيراً عما رأيتها آخر مرة ؟ . .

ــ للغاية ، إنها فوق كل وصف ، أعتقد أننى لم أرها مرة منذ تسع سنوات وكان ذلك عندما حضرت إلى المصنع آخر مرة ، أليس كذلك يا شادية ؟ . .

فابتسمت ابتسامة خلابة وقالت فى صوت موسيقى عذب :

ــ أظن ذلك يا عثمان (بيه) ، وأعتقد أننى كنت فى ذلك الوقت طالبة بالسنة الأولى بالمدرسة الثانوية . .

ولما احتوتهم غرفة الاستقبال وفرغوا من شرب المرطبات مد عثمان يده إلى جيبه وأخرج علبة فاخرة فيها عقد ماسى ثمين ثم قدمه إلى شادية قائلا :

ـ هذا لك يا شادية . .

فنظرت إلى العقد فى دهشة وقالت وقلبها يهفو إليه .

ـ شكراً يا عثمان (بيه) . .

فقال وهو يتأملها فى إعجاب شديد : أرجو أن يروقك ذوقى يا شادية . .

فافتر ثغرها عن ابتسامة ساطعة وقالت وهى تقلب العقد بين يديها :

ـ إنه تحفة تشهد لك بحسن الذوق يا عثمان (بيه) . .

ولما ناولته لخالتها تأملته فى اعجاب وقالت : إنه بديع جداً يا شادية . .

وانتهز عثمان فرصة انشغال شادية وخالتها بأمر العقد ومال إلى أذن بكير وهمس قائلا :

ـ هل تفهم شادية بغيتى ؟ . . .

ـ طبعاً ، ووافقت بسرور لا مزيد عليه . .

ـ آه ، شكراً ، سأعرف كيف أرد لك هذا الجميل يا بكير . .

— عفواً يا عثمان (بك) ، إننا لانبغى سوى سعادتك . .

وفى اليوم التالى أمر عثمان برفع مرتب بكير من خمسين جنيهاً إلى سبعين جنيهاً فى الشهر وبعد ذلك بأيام قليلة أعلنت خطوبته إلى شادية .

وفى اليوم المحدد للقران أقام بكير فى منزله حفلا بهيجاً ضم أفراد أسرة عثمان وأسرة فرج وبعض أسر موظفى المصنع ومهندسيه ، وكان « فريد » من بين المدعوين ، كما حضر الحفل شبان كثيرون منهم « مجدى » الذى استطاع بنظراته وحركاته وأناقته أن يسترعى نظر « شادية » ويبادلها النظرات عدة مرات ، ومنهم جلال خطيب ذائرة الذى جلس طول الوقت يحملق فى وجه شادية فى دهشة ساكنة ، ومنهم الدكتور « مختار » الذى استرعى انتباه شادية بمظهره المتحفظ الرزين المخالف للآخرين ، وقد أدهشها منه بصفة خاصة أنها لم تجد فى نفسه هذا الصدى الذى اعتادت أن تراه فى وجوه الرجال كلما وقعت أبصارهم عليها . واشتد اهتمامها بأمره خاصة بعد أن أنبأها خاله عثمان بمكانته وبعد صيته وكلف الطلبة والطالبات به كلفاً شديداً ، أما مختار فقد جلس طول الوقت يتأمل وجوه الحاضرين وكان أحياناً ينظر إلى شادية ويسائل نفسه لماذا اختارت هذه الفتاة الجميلة خاله الذى يكبرها بأربعين عاماً

والذى تنقصه الوسامة والجاذبية ، حقاً أن خاله رجل ثرى ولكن الدكتور بدر الدين كما سمع من بعض الحاضرين كانت لديه هو الآخر ثروة طائلة فلماذا يا ترى آثرت خاله عليه ، وهكذا عجب كل منهما وحار فى أمر الآخر وعجز عن الاهتداء إلى سره ، وارتقب أن تكشف له المناسبات من أخباره ما كان جاهلا .

وبعد أن انقضت مراسم الحفل انقسم الحاضرون إلى جماعات وراحوا يتجاذبون أطراف الأحاديث فى حجرات المنزل وحديقته ، وتحينت شادية خلوة بالدكتور مختار فوقفت فى ردهة تتحدث معه فى مرح قائلة :

— تسرنى معرفتك كثيراً يا دكتور مختار . .

فابتسم لها وقال : أشكرك ، لست أقل منك سعادة بهذا التعارف . .

فنظرت إليه بعينيها الجميلتين وقالت :

— لقد أخبرنى عثمان (بك) أنك علامة فى علم النفس ، ولك بطبائع الناس خبرة كبيرة . .

فتضاحك قائلا : إن خالى يبالغ كثيراً فيما يصفنى به ، ولكنى لا أنكر أنى أحب دراسة طبائع الناس حبا لا مزيد عليه .

— هل تستطيع أن تكشف عن شخصية الإنسان بسهولة .

ـــ إننى أستطيع أحياناً أن أكشف عن النفس البشرية من تصرفات صاحبها . .

ـــ وهل النفس البشرية بسيطة إلى هذا الحد ؟ . . .

ـــ بالعكس ، إن النفس البشرية عالم غريب معقد ، وأعجب ما فى الأمر أن الإنسان لا يعرف نفسه ، لأنه يخضع فى كثير من تصرفاته إلى سلطان اللاشعور ومنطقه ، ومنطق اللاشعور منطق غريب عن كل منطق ، ولهذا يتعذر على الإنسان العادى فهم النفس البشرية وتفسير سلوكها تفسيراً صحيحاً ما لم يكن على علم تام بأصول علم النفس والتحليل النفسى . . .

وكانا وهما فى موقفهما يريان بوضوح مجموعتين من المدعوين يتجاذبون أطراف الحديث فى حجرتين متجاورتين ، وكان « مجدى » أبرز أفراد المجموعة الأولى بينما كانت « فائزة » أبرز أفراد المجموعة الثانية ، ونظرت شادية إلى ناحية فائزة وقالت لمختار :

ـــ يا لها من فتاة ساحرة ، أعتقد أن لأختك شخصية نادرة .

ـــ لقد كانت كذلك فيما مضى ، أما الآن فلم يبق لها من ذلك شىء كثير فى نظرى . .

ـ ولماذا ؟ هل لى أن أعرف السبب . .

ـ سأطلعك عليه لأنه موضوع يدعو إلى التأمل . .

ـ إنك تثير فضولى للمعرفة . .

ـ لن أخفى عنك شيئاً ، أترين هذا الشاب الوسيم الذى يجلس فى الحجرة المجاورة لحجرتها . .

ـ نعم ، ما خطبه ؟ .

ـ إنه يدعى « مجدى » وهو الابن الوحيد لفرج (بك) ويشتغل فى المصنع سكرتيراً لأبيه . .

وسكت لحظة ثم قال : إنه شاب مغرور مفتون لا يفهم الحياة إلا على أنها لهو وعبث ،وكل ما يهمه منها هوالاستمتاع بملذاتها ، وكان من سوء حظ أختى أنها وقعت فى حبه ولكنه لم يقدر عواطفها وانصرف عنها إلى غيرها ، وأفظع ما فى الأمر أنها ما زالت تحتفظ بحبه رغم أنها مخطوبة لابن عمها الذى لا يعرف عن ذلك شيئاً ، وإذا عرف فلن يصدق لأنه يعتبرها المثل الأعلى للفتيات ، ولست أدرى إلام ستظل شخصية مجدى مسيطرة عليها على هذا النحو . .

ـ إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا تنصحها بالتخلى عن حب مجدى . .

ـ لا فائدة من ذلك لأن أبشع ما فى غرائزنا أننا نزهد

فى كل ما نملك وتهفو نفوسنا إلى ما فى أيدى الآخرين ، وهذا لا شك أثر من آثار همجيتنا الأولى . .

وكان وهو يتكلم ينظر إليها ملياً فأحست بعينيه الزرقاوين البراقتين تنفذان إلى أغوارها وتستقران فى أعماق روحها وتثيران فى نفسها قلقاً مبهماً لا تعرف كنهه . وبعد لحظة قال لها :

ــ أرجو ألا أكون قد ضايقتك بالكلام فى هذا الموضوع الجدى الممل . .

ــ أبداً . . . أبداً ، إنه موضوع شائق جداً وكم أحب أن تشرح لى ما قلته بالتفصيل . .

ــ أشكرك ولكن لابد لى من الانصراف الآن لأننى مرتبط بموعد ، إلى اللقاء ، واعلمى أنه يسرنى كثيراً أن تزورينا فى حلوان فى صباح كل يوم جمعة فأنا موجود دائماً فى ذلك الوقت بالمنزل ولا أبرحه إلا نادراً .

وما كاد الدكتور مختار يودعها وينصرف حتى رأت « مجدى » مقبلا وحده وهو يصلح رباط عنقه ، وتلفت مجدى حوله لحظة ثم دنا منها باسطاً يده وهو يقول فى بشاشة :

ــ شادية هانم ، كم أنا سعيد بهذه الفرصة .

فصافحته وهى تتفحصه ، واسترعى انتباهها منه ما يشيع فى عينيه من سحر وجاذبية وما اجتمع فى كيانه من حيوية

الشباب وأناقة المظهر . . . وكان هو البادئ بالحديث فقال لها :

ـ لم يتيسر لى أن أقدم نفسى إليك أثناء الحفل لأننى جئت متأخراً ، أنا مجدى بن فرج (بلك).

فتظاهرت بالدهشة البالغة وقالت :

ـ أوه ، أأنت مجدى ! ! يا إلهى ما أشد حماقتى وأنا أظنك أحد المدعوين فى الحفلة .

فضحك ضحكة لطيفة ، جاذبته إياها فى مرح ، وصمت قليلا ثم قال وهو يتوسمها فى اعجاب :

ـ أعتقد أن الغلطة غلطتى ، كان يجب أن أعرفك بنفسى بعد انصراف المأذون ولكنى لم أستطع لشدة الزحام . .

فابتسمت ابتسامة باهرة وقالت :

ـ لا ضير فى ذلك ، أعتقد أنه كان يجب أن أعرف ذلك بنفسى عند حضورك أثناء الحفلة .

ـ ومن أين لك أن تعرفى ؟ .

فتضاحكت وقالت : مما سمعته عنك .

فقال مشرق الوجه وهو يبادلها النظرات :

ـ وماذا سمعت عنى ؟ .

فقالت فى دلال وهى تتصنع الخجل :

ـ سمعت أنك نموذج للشاب العصرى .

فقال مبتسما : من قال لك ذلك ؟ .

فقالت مداعبة : وإذا لم أخبرك .

فنظر إليها بعينين والهتين وقال وهو يلمس يدها دون كلفة

ــ أرجوك يا شادية .

فحدقت فى وجهه برهة ثم قالت : أيهمك ذلك إلى هذا الحد .

فقال وهو يتطلع إليها فى شغف :

ــ يهمنى جدًّا أن أسمع ذلك منك يا شادية .

فقالت فى لطف ورقة : ما دمت تصر فاعلم أننى سمعت ذلك من أكثر من شخص ، أيكفيك هذا ؟ .

فازداد غبطة وابتهاجاً وقال : هذا يكفينى الآن ، وبهذه المناسبة دعينى أخبرك بما سمعته أنا الآخر عنك .

ــ ماذا سمعت عنى ؟ .

ــ سمعت أنك بارعة فى قيادة السيارات ، أهذا صحيح ؟ .

ــ كلا ، هذه مبالغة ، إننى ما زلت بادئة . .

ــ إذن ستسمحين بأن أعطيك درساً أو درسين كل أسبوع بعد حضورك إلى المعادى .

وطفق بعد ذلك يحدثها عن الحياة البهيجة التى تنتظرها فى المعادى ومدى الصداقة التى تربط بين عثمان وأسرته من

قديم الزمان وبعد أن فرغ من حديثه مدت إليه يدها فأمسكها وضغط عليها ضغطة ذات مغزى وانصرف .

وكانت المناسبة التى أقيم من أجلها هذا الحفل ضربة قاسية لبدر الدين انحطم لها قلبه واندكت لها آماله كلها ، وعندما علم بموعد الحفل ذهب فى المساء إلى عيادته وأغلق عليه باب مكتبه ثم وقف إلى جوار النافذة المطلة على غرفة نوم شادية وظل واقفاً يرقب نافذتها واجماً محزوناً عاجزاً كل العجز عن أن يجد من قوة أعصابه ما يخفف من وطأة حزنه ولوعته وأساه ، وفيما هو يراقب نافذتها قرب الساعة العاشرة مساء لمحها تدخل الغرفة فى الظلام ثم ألفاها وهى فى ثوبها الناصع البياض تقترب من النافذة وتنظر ناحيته ، فجمد فى مكانه ولم تمض لحظة حتى سمعها تقول :

ـــ مساء الخير يا بدر . .

فجفل وأجاب لاهث الأنفاس : مساء الخير . . . مبارك يا شادية . . .

ـــ أنا آسفة يا بدر . . . لم يكن الأمر بيدى .

ـــ لك الله يا شادية ، أهذا جزائى ، لماذا بالله نبذتينى وهدمت كل ما شيده الأمل والحب فى قلبى ؟ .

ـــ ألم يخبرك « بكير » بالسبب .

ــ ولماذا لم ترفضى ، أراضية أنت عن هذا الزواج يا شادية . .

ــ أنت تعلم أن عثمان (بك) صاحب فضل علينا . .

ــ ولكن ليس هذا عدلا ، كيف تتزوجين رجلا فى سن أبيك . .

ــ لقد قلت لك كل ما يمكن أن يقال يا بدر . .

ــ وهل قدرت ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى . .

ــ لا تحزن يا بدر ، حاول أن تنسى .

ــ أنت تمزقين قلبى بهذا الكلام .

ــ إننى أريد أن أواسيك ولكن يظهر أننى لن أستطيع ومع ذلك فثق أننى لن أنسى صداقتك أبداً ، وداعاً يا بدر . .

وتركته عائدة إلى الداخل ولما استخفى شبحها وقف وقتاً بلا حراك ثم ارتمى على مقعد يملكه اضطراب عنيف .

الفصل السادس

وبعد ثلاثة أشهر احتفل عثمان بالزفاف فى المعادى احتفالا رائعاً وانتقلت « شادية » على الأثر إلى منزله لتحيا فيه معه حياة الزوجية ، وعندما اختلى عثمان بزوجته الجميلة فى مخدعهما عقب خروج المدعوين قال لها ملاطفاً وهو يضع يده على خدها :

ـ الآن أنت لى وحدى .

وفجأة لف ذراعيه حول خصرها وأهوى بفمه على فمها ثم اندفع يحتضنها بقوة وهو يهمهم :

ـ يا إلهى . . . ما أشهاك . .

ثم أخذ يقبلها فى جموح ثائر وهو يهصر خصرها هصراً ولم تحاول مقاومته فى أول الأمر ولكنها ما كادت تحس يده تعبث بصدرها حتى استخلصت جسدها من بين ذراعيه وهى تصيح به :

ـ لا . . . لا . . .

وما كادت تفلت منه حتى لاذت بركن الغرفة وهى تلهث ، فتقدم ناحيتها فى دهشة وهو يقول :

ــ ماذا بلك يا شادية ؟ . .

ــ لست أحب أن تسلك معى هذا المسلك مرة أخرى .

ــ أى مسلك ! ! ألست زوجتى ؟ . .

ــ بلى ، ولكنى لا أحب أن تعاملنى بهذا العنف .

ــ هل آلمتك إلى هذا الحد ؟ . .

ــ قلت لك إننى لا أحب هذه الطريقة . .

ــ لعله كان يجدر بى ألا أندفع هذا الاندفاع ولكن ما حيلتى يا شادية وأنا متيم بلك . .

ثم جذبها من يدها بلطف وقال وهو يحاول إجلاسها على المقعد :

ــ هدئى من روعك ، أخائفة أنت ؟ . .

ــ لست خائفة ولكنى لا أطيق هذا .

فجلس إلى جوارها وراح يجاذبها أطراف الحديث ثم نهض بعد وقت ناحية الفراش وقال لها فى رقة وهو يمهد لها مكاناً عليه :

ــ تعالى يا شادية . .

فانتابتها رجفة شديدة وتراجعت فى مقعدها وكأنما أفزعها منظر الفراش وصرخت :

ــ لا . . . لا . .

فنظر إليها فى دهشة بالغة وقال :

ــ ما هذا يا شادية ، أأنت طفلة ، ألم تتوقعى مثل هذا الأمر ؟

فقالت وصدرها يعلو ويهبط من شدة الانفعال :

ــ لماذا لا تؤجل ذلك بضعة أيام . .

فعاد إليها وجعل يسكن روعها ويطمئنها إلى أن استرجعت جأشها ثم قال لها :

ــ ألا ترين أنك غريبة الأطوار يا شادية . .

ــ أحسبنى كذلك . .

ــ ما الذى يفزعك ؟ . .

ــ لست أدرى . .

ــ ألست زوجك ؟ . .

ــ بلى ولكنى لا أطيق تصور هذا العمل . .

ــ ولكنك وافقت على زواجى ، والخطوة التالية هو أن تقبلى هذا .

ــ قلت لك أمهلنى أياماً ، وإلا فطلقنى إذا شئت . .

فنظر إليها فى دهشة وجزع وقال :

ــ أطلقك ! ! ما هذا القول يا شادية ، أأنت مريضة ؟ .

ــ ليس بى مرض . .

فحملق فيها واجماً ثم قال وقد راودته فكرة اقشعر لها بدنه :

ـــ أصدقيني يا شادية ، هل تخفين عني سراً .

ـــ إنني لا أخفي عنك شيئاً . .

ـــ إن هيئتك توحي إلى أنك صادقة ، فهل تغيير طريقتي هو كل ما تبغين ؟ .

ـــ نعم ، إنني أكره أن يعبث إنسان بجسمي على هذا الصورة ، فإذا رضيت بمعاشرتي على النحو الذي يروقني كان بها وإلا فلا بقاء لي هنا . .

فجلس صامتاً لحظة ثم قال وقد انخذلت ارادته وتداعى تصميمه :

ـــ كما تشائين يا شادية ، أعدك ألا أصنع شيئاً يخالف مشيئتك . .

وانتهى الأمر بين الزوجين إلى نزول عثمان عن جزء كبير من حقوقه فعاش معها وهو يشعر بأنه شخص معذب لأنه كان يملك أطيب الثمار وأحبها وألذها دون أن يستطيع أن يذوقه أو يمد إليه يداً ، ولكنه كان مع ذلك شديد الحب لها ، شديد الثقة بها يصدقها إذا قالت ويؤيدها إذا فعلت ويذعن لها في كل ما تريد حتى انمحت إرادته أمام إرادتها في كل أمر جل أو هان .

وتواصلت أيام الشهر الأول دون أن يقع شيء يستحق الذكر وكل ما حدث هو أن عثمان استطاع بعد حيلة وجهاد وتوسل واستعطاف أن يدخل بها ويتأكد من أنها عذراء وإن كان لم ينل منها كل ما يشتهيه .

وكان عثمان قد لزم الدار بعد الزفاف أسبوعاً ثم استأنف عمله فى المصنع ، فكان يغادر منزله فى الثامنة صباحاً ويعود إليه فى الثالثة بعد الظهر ، وكان فرج وزوجته وابنهما « مجدى » يزورونه هو وزوجته فى كل وقت ، وكان هو وشادية يزورانهم مرة كل يوم ويلتقون جميعاً على العلات لا يضربون للقاء موعداً ولا يهيئون له أسباباً . وأتاحت هذه الزيارات لمجدى من لقاء شادية والحديث إليها ما لم يتح لغيره من قبل دون أن يتعرض أمره لريبة أو يدعو إلى شبهة لشدة مبالغته فى التحفظ أمام عثمان ونرجس فلم يلاحظا قط فى تصرفاته مع شادية شيئاً يدعو إلى التفكير أو يثير فى النفس من سوء الظن قليلا أو كثيراً . أما فى الخفاء فقد أحست شادية بعواطف مجدى ومحاولاته تحيط بها وتغمرها ، ثم ما لبث أن ألح وغلا فى الإلحاح وجعل يتتبعها ويقفو آثارها كلما خرجت من المنزل فى الصباح لشأن من شئونها ، وكانت شادية ترى هذا الإلحاح وتجد فى نفسها لذة فى الاستزادة منه لا لشيء إلا لإرضاء لهذا الميل الغريب

الشاذ الذى كانت تحسه كلما رأت رجلا يقع فى شباكها وينتهى به الأمر إلى محنة من المحن .

وذات يوم وقد انصرف عثمان إلى عمله ، دخلت شادية غرفتها وبعد أن لبست ثوباً من أجمل ثيابها وقفت أمام المرآة تتزين وتتعطر وتتأمل نفسها ثم ابتسمت فى زهو وخرجت وركبت سيارتها إلى محلات شيكوريل ، ولم تكد تدخل المحل بطلعتها الباهرة حتى تطلع إليها عدد كبير من الرجال والنساء وتهامس بعضهم فيما بينهم :

— تبارك الخلاق .

— ما أجملها .

— ما أملحها .

فانثنت تنظر هنا وهناك دون أن تعيرهم التفاتاً وانبرى لها موظفو المحل كل يحاول عرض بضاعته وإغراءها بالشراء منه دون الآخرين فاشترت مجموعة من الجوارب الفاخرة ثم خرجت ولم تكد تغادر باب المحل حتى رأت « مجدى » ينتظرها بجوار باب سيارتها ، وحين وقع بصره عليها أسرع إليها باسم المحيا وبادرها بقوله :

— أهلا . أهلا ، مصادفة مدهشة ؟ . . .

فابتسمت وقالت وهى تصافحه :

ـ أهلا بك يا مجدى ، ماذا جئت تفعل هنا ؟ .

ـ كنت على موعد مع صديق فلما رأيت سيارتك جئت لأراك ، إلى أين أنت ذاهبة ؟ . .

ـ إلى المنزل . .

فرفع إليها بصره وقال وهو يتوسمها ملياً :

ـ أتسمحين لى بمرافقتك قليلا . .

فهزت رأسها وقالت وهى تبتسم فى رقة :

ـ إننى أفضل أن أعود بمفردي .

فأمسك بيدها فى جرأة غريبة وقال :

ـ ماذا ؟ ألا تريدين أن أرافقك لأعلمك طريقة القيادة الصحيحة ؟ ألم توافقى على أن أعطيك درساً أو درسين فى الأسبوع .

فتضاحكت قائلة : هل قلت لك إننى موافقة ؟ . .

فقال وهو يضغط يدها فى شغف وهيام :

ـ أتوسل إليك يا شادية ـ فهزت رأسها وتمنعت ولكنه ما زال بها حتى وافقت وأذعنت لإرادته .

ولما تقدمت للركوب سارع إليها آخذاً بذراعها فى حذق ورشاقة ، وتولى هو القيادة وسألها وهو يخفى اهتياجه :

ـ إلى أين ؟

ـ إلى أول طريق مصر القديمة .
ـ ألا ترغبين فى نزهة قصيرة ؟ .
ـ أين تريد أن تذهب .
ـ إلى شارع الهرم .
ـ كما تريد ولكن على شرط .
ـ ما هو ؟ .
فأجابته : ألا نمكث هناك أكثر من ربع ساعة .

وتحركت السيارة بهما إلى شارع الهرم وانطلق مجدى فى حديثه وهو ينظر حوله فى نشوة بالغة وتطارحا أحاديث مألوفة فى شأن المصنع وموظفيه وعندما بلغا مينا هاوس بادرها بقوله :

ـ ألا تحبين أن نقضى بعض الوقت هنا ، أرجو أن تقبلى دعوتى . .

ـ كما تبغى ، فقط أرجو ألا نمكث طويلا حتى لا يرانا أحد .

ـ اطمئنى ، أن أحداً لن يرانا لأن المكان يكون عادة مقفراً فى مثل هذا الوقت .

وتخيرا منضدة متطرفة بين الخمائل ولما حضر الجرسون طلبت شادية شراب الليمون وطلب مجدى زجاجة شمبانيا وكأسين

وبعد لحظات عاد الجرسون وتولى مجدى تقديم شراب الليمون إلى شادية فلما فرغت من شربه قدم لها كأساً من الشمبانيا فتمنعت قائلة :

ــ لا . . . لا يا مجدى ، اعذرنى .

ــ أرجوك يا شادية ، الجلسة لا تحلو إلا بهذا .

وأدنى الكأس من فمها فلم تجد بدًّا من الشرب وأستأنفا الحديث فجعل يقص عليها نتفاً من حياته وفى أثناء ذلك أخرج من جيبه علبة سجائر ذهبية وقدم إليها سيجارة فاعتذرت فنظر إليها قائلا :

ــ ألم تدخنى من قبل يا شادية ؟ .

ــ أبداً .

ــ إن التدخين متعة ، فحاولى .

وأدنى السيجارة من فمها فحاولت أن تأخذها منه بيدها ولكنه أصر على أن يضعها بنفسه وأخذ يلح حتى فرجت شفتيها وأطبقتهما عليها .

ونهضا بعد نصف ساعة وفى الطريق إلى الباب أمسك بذراعها وأوقفها أمام حوض حافل بالورود الجميلة ثم قال :

ــ أتحبين الورد ؟ .

ــ جدًّا . .

فراح يجمع لها أشتاتاً منه ويبادلها إياها وهو منحن ثم انتقى لها وردة حمراء كبيرة ونهض واقفاً وأدناها من صدرها فقالت وهى تتراجع :

ـ لا . . . لا . . .

وسارعت فحالت بأناملها بين يده وبين نهديها فقال وهو يرنو إليها فى انفعال مكبوت :

ـ أرجوك يا شادية . .

وألح حتى سمحت له برشق الوردة فى جانب من صدرها .

وعندما ركبا السيارة التفت اليها وقال :

ـ والآن أتريدين أن أعطيك الدرس الأول .

ـ الوقت ضيق ، أوثر أن أعود .

ـ لا . . . لا ، أمامنا فسحة من الوقت .

وانطلق بالسيارة مسرعاً صوب الطريق الصحراوي وهو يثرثر مطرياً براعته فى القيادة ، وتصاعد بهما الطريق حتى انبسطت من دونهما الصحراء رحبة مترامية الأطراف ، ثم أشرفا على جزء من الطريق بدا شديد الالتواء كالأفعى فراعها اندفاع مجدى وقالت فى شىء من الخوف :

ـ حذار يا مجدى ، إنك تسير بسرعة مخيفة فى طريق غير مأمونة .

فقال فى مباهاة واستخفاف :

ــ عجباً يا شادية ، أتخافين وأنت معى . .

وزاد من السرعة فانطلقت السيارة تطوى الأرض طياً وكان فى أثناء ذلك يرمقها بنظرات نهمة ويحدق فى ساقها مشغوفاً وبعد لحظات حمى صدره بانفعال جياش فمد يده محاولا تطويقها وهو يقول :

ــ أما زلت خائفة ؟ .

فقالت وهى تتملص من ذراعه : أرجوك أن تهدئ من سرعتك قليلا .

فقال وهو يعاود مد يده إليها : لن أفعل إلا إذا أعطيتنى ما أريد . .

فشخصت ببصرها إليه وسألته : وماذا تريد ؟ .

وتلاقت نظرتهما هنيهة وفى لمح البصر مال على وجهها واختطف من ثغرها قبلة ملتهبة فأبعدته قائلة :

ــ لا . . . لا . . . أرجوك يا مجدى .

فقال فى صوت متهدج وهو يوقف السيارة :

ــ والآن نستطيع أن نتبادل مكانينا ، تعالى إلى هذا الجانب لتتولى القيادة .

وعندما تحركت لتأخذ مكانه جذبها إليه فى قوة واندفع يحتضنها فى وله واشتياق وهو يغمغم قائلا :

ــ أحبك يا شادية . . . أحبك . . .

وأراد أن يتمادى ولكنها استطاعت أن تتخلص منه فى خفة عجيبة ولما حاول تقبيلها مرة أخرى قالت له منتهرة :

ــ كفى يا مجدى وإلا فلن أخرج معك مرة أخرى .

وبعد لحظات كانت السيارة تشق بهما الطريق عائدة إلى الجيزة .

الفصل السابع

وبعد هذه المقابلة أحست شادية بمجدى يضيق عليها الخناق بصورة مزعجة فكانت كلما خرجت فى الصباح إلى مكان للتنزه أو لشراء بعض حاجياتها وجدته قد سبقها إليه حتى لقد خيل إليها فى بعض الأحيان أنه يهبط عليها من السماء أو ينبت لها من جوف الأرض ، وانجلت لشادية بعد أربعة أشهر من الزمان حقيقة أخرى وهى أن جلال خطيب فائزة قد وقع هو الآخر فى غرامها وغرق فيه إلى أذنيه ، وكذلك كان الحال بالنسبة لفرج فقد أحست به يخصها بنظرات تطلع واهتمام وإذا اتفق لهما أن يختليا رأته يخرج عن تحفظه المعهود ويتلطف معها ويبادلها النكات ويلقى على مسامعها كلمات الإعجاب والإطراء .

وذات ليلة أقامت « فائزة » فى دارها بحلوان ، حفلة شائقة بمناسبة عيد ميلادها دعت إليها أسرة عثمان وفرج ومجموعة كبيرة من صديقاتها وأصدقاء خطيبها جلال ، ولما حضرت شادية حملق فيها معظم المدعوين من فرط الدهشة وعندما لحظ مجدى تأثيرها العجيب فيمن حولها استولت عليه غيرة

شديدة فاضطربت حركاته وشحب لونه وفاض قلبه بعواطف ثائرة لم يكن له بها عهد ، ورغم أنها نظرت إليه وابتسمت له فى عذوبة ورقة مرة أو مرتين إلا أنه أحس من نظراتها وحركاتها أنها فى شغل عنه ، وعجب من نفسه وهو ينظر إليها أشد العجب ، لقد كان يعتقد فى نفسه دائماً أنه من نوع الشبان الذين لا يعرفون الحب إلا أنه لون من العبث والغزل والخداع والنزوات العابرة ، فكيف يخفق قلبه بهذا الحب لزوجة رجل فى مقام والده ، وكيف يسقط بهذه السهولة فى دوامة هذا الهيام العنيف الذى أضناه وعذبه وأقض مضاجعه .
وشعر مجدى فجأة بنوبة من الحقد تجتاح قلبه نحو عثمان وراودته سلسلة من الأفكار المسمومة راحت تحز فى نفسه طول الساعات التى قضاها فى الحفلة . وكانت « فائزة » تراقبه عن بعد وتراقب نظراته التى تنم عن حقيقة مشاعره نحو « شادية » فاشتعلت فى قلبها نيران حامية من الغيرة والكراهية والغضب ، وحز فى نفسها أن تأسر شادية بجمالها ذلك الشاب الساحر الذى حطم قلبها وداس عواطفها بقدميه .

وظل مجدى مايقرب من ربع ساعة يتطلع عن كثب إلى شادية وفى عينيه ضوء غريب ، وكانت شادية فى هذه الأثناء واقفة وسط مجموعة من السيدات وهى تتألق كزهرة فواحة

العبير تتحدث تارة وتتضاحك تارة أخرى ، وسمع مجدى إحداهن تقول لعثمان على مسمع من زوجته :

ـ ما أسعد حظلك ، إن شادية هانم درة نادرة .

فأجابها عثمان وهو يضع يده على كتف شادية فى محبة وإعزاز :

ـ بكل تأكيد ، إن شادية مثل أعلى فى كل شىء .

فقالت شادية ضاحكة وهى تنظر إلى زوجها فى جذل :

ـ إنك تدللنى بهذه العبارات الجميلة يا عثمان .

وكان مجدى مستغرقاً فى الاستماع إلى هذا الحوار وهو يقول لنفسه ـ حقًّا إن الزوج هو آخر من يعلم ـ وأحس بالغيرة تنهش صدره من عثمان ومن الرجال الملتفين حولها ، ومن ذلك الشاب الوهمى الذى كان يتصوره دائماً فى منامه ويقظته كغريم ومنافس له ، وفيما هو سابح فى أفكاره أحس يداً توضع على كتفه فاستدار بسرعة وهنا وقع بصره على فائزة التى ابتدرته قائلة :

ـ هالو مجدى ، ألك فى قدح من الشاى ؟ .

فلعنها فى سره لأنها أضاعت عليه فرصة للانفراد بشادية ولكنه غالب ما بنفسه وقال لها :

ـ بكل سرور . .

ـ إذن هلم بنا . .

وقبل أن يبرح مجدى القاعة ألقى نظرة سريعة تجاه شادية فوجدها ما زالت مستغرقة فى الحديث مع زوجها ومن معه وأيقن من هيئتها أنها لا تكاد تشعر بوجوده على الإطلاق فغشى وجهه سحابة من الغيظ والحنق والكمد وانصرف برفقة فائزة ورأسه تموج بشتى الأفكار والخواطر . وبعد وقت انفصلت شادية عن زوجها ومن معه فى القاعة وراحت تنتقل بين مجموعات السيدات تحدث بعضهن تارة وتسمع إلى البعض الآخر تارة أخرى ، وفيما هى فى ذلك أقبل عليها جلال وجعل يتحدث معها ثم أظهر الرغبة فى أن يخرجا إلى الشرفة فتمنعت فى أول الأمر ولكنه لم يأبه لتمنعها وألح حتى ظفر آخر الأمر بما أراد فأخرجها من القاعة دون أن يتنبه لذلك أحد وسار إلى جانبها يحادثها ويتندر معها إلى أن بلغا الشرفة ولما استقر بهما المجلس راحا يتجاذبان الحديث فى موضوعات شتى إلى أن تطرق الكلام إلى الحديث عن الدكتور مختار فقال جلال :

— إننى أحبه ولكننى أكره نظرياته وفلسفته كرهاً لا مزيد عليه . .

فلما سمعت شادية هذا الكلام نظرت إليه مستفسرة وقالت :

— أحقاً ، ولماذا ؟ .

ــ لأننى أعتبره هو وأمثاله من أسباب تعاسة هذا العالم وشقائه ، فكل شىء فى نظرهم له أصل فى النفس ، وكل تصرف له تعليل وتحليل ، وكل حب أو كره يسرى فيه الجنس ، ألا توافقين على أن هذا شىء لا يطاق . .

ــ بالعكس ، إننى أميل إلى تأييد وجهة نظره فى أشياء كثيرة . .

فقال لها : حذار يا شادية وإلا تبلبلت أفكارك ، ثقى بكلامى واسمعى نصيحتى .

فنظرت إليه برهة ثم قالت له مبتسمة : إننى أقدر نصيحتك حق قدرها ولكن دعنى أسألك سؤالا ألا تعتقد أنه كان على صواب حين قال أن لكل إنسان نزوة وأنه لا يوجد إنسان يمكن أن يدعى أنه مبرأ من كل عيب .

ــ بكل تأكيد ، فليس هناك إنسان يمكن أن يدعى أنه مبرأ تماماً من كل عيب .

فقالت مبتسمة : ما دام الأمر كذلك فما عيب الدكتور مختار فى نظرك .

ــ إن عيبه الأساسى هو الغرور .

ــ وأنت ، ما عيبك ؟ .

ــ عيبى أننى أتحدث فى صدق وصراحة وهو ما لا يفعله

أكثر الناس ، وآية ذلك أننى لم أستطع إخفاء إعجابى بك عندما صارحتك مرة بحقيقة واقعة وهى أن تأثيرك فى الرجال غريب ، وأن الذى يحبك لا يستطيع أن يتحرر من حبك أبداً ولا يمكن أن يستغنى عنه يوماً من الأيام.

ـ أوه ، هذه مبالغة . .

ـ لا تغالطى نفسك يا شادية ، إنك بلاشك من نوع النساء القلائل اللائى يستطعن الفتك بالرجال من أول نظرة ، وأعتقد أنك تعرفين هذه الحقيقة كما أعرفها لأننى خبير بأنواع النساء أكثر من أى رجل آخر بحكم تجاربى الكثيرة فى المحاماة ، ولكثرة ما قرأته عنهن فى الكتب الأجنبية المتخصصة . .

ـ إذن دعنى أسمع رأيك فى فائزة ، أنها بلاشك فتاة نادرة . .

ـ إنها فتاة لبقة عاقلة ولكنها غير عاطفية .

ـ ماذا تعنى بذلك ؟ . .

ـ أعنى أنها عقل أكثر منها عاطفة والعقل ليس من الملكات التى أحبها فى النساء ، ولذلك كثيراً ما تبدو لى كأنها فليسوف كرس حياته لهداية الناس . .

ـ وهل تعد هذا عيباً ؟ . .

ـ نعم يا شادية ، إن الشباب يجب ألا يضيع سدى ،

يجب أن نتمتع به إلى أقصى حد قبل أن نتحول إلى دمى كهلة لا نفع فيها ، ولقد أدركت لأول وهلة أنك تجهلين المصير الذى ساقوك إليه حين أرغموك على هذا الزواج فأشفقت أن يضيع منك هذا الشباب المتفتح العجيب مع كهل لم يبق أمامه سوى سنوات معدودة .

فقالت معترضة : أوه يا جلال ، لا تتحدث هكذا عنه ، إنه على كل حال رجل طيب لا يدخر وسعاً فى إسعادى ، وفى هذا الكفاية .

— لا . . . لا ، هذا ليس كافياً لسيدة فاتنة مثلك تحسدها النساء على شبابها الساحر وجمالها المنقطع النظير ، خذى بنصيحتى يا شادية وانعمى بالحياة المتفتحة فيك ولا تبعثرى جمالك وشبابك فى الاستماع إلى المواعظ التى يثرثر بها أمثال عثمان ومختار وفائزة .

فاهتز فؤادها لكلماته وبعد لحظة نهضت واقفة وهى تقول :

— أشكرك يا جلال على هذا الحديث ، ما كنت أظنك خبيراً بالنساء إلى هذا الحد . .

— ولكننى لم أكمل حديثى بعد ، لماذا أنت متعجلة . .

— يجب أن أذهب الآن . .

ــ ألا أصحبك ؟ . .

ــ شكراً ، الأفضل أن يذهب كل منا فى طريق .

ــ حسناً ، ولكن لا تنسى أن للحديث بقية .

ــ طبعاً . . . طبعاً ، تأكد أن ذلك يسرنى ، إلى اللقاء . .

وعندما مدت إليه يدها رفعها إلى فمه وطبع عليها قبلة طويلة أودعها ما يفيض به قلبه من شغف وشوق وهيام .

وغادرت شادية الشرفة واتجهت صوب القاعة الكبرى وكان عليها لكى تصل إليها أن تمر بردهة طويلة مطلة على الحديقة وفيما هى سائرة فى طريقها سمعت أصواتاً غريبة تنبعث من ركن فى الحديقة فتوقفت لحظة ثم قصدت أقرب نافذة وأرسلت بصرها من وراء المصراع إلى مصدر الصوت وهناك رأت فى ضوء القمر مجدى وفائزة واقفين بالقرب من إحدى الخمائل وهما يتجادلان فى شىء من العنف فأرهفت إليهما سمعها وبعد هنيهة سمعت « مجدى » يقول فى حنق ونفاد صبر

ــ كفى . . . كفى ، دعينى أذهب . .

فأجابته فائزة فى توسل واستعطاف :

ــ أتوسل إليك أن تمكث قليلا ، كم أود أن أحدثك بكل ما عندى . .

فقال فى جفاء : وما الفائدة ، أنسيت أنك مخطوبة

وعما قريب ستصبحين زوجة . .

ــ لست أبالى ، إننى أمقته ، أتدرى لماذا ؟ . .

فسألها : لماذا ؟ . .

فقالت وهى تمسك يده وتضمها إلى صدرها فى شغف وهيام :

ــ لأننى أحبك يا مجدى ، ولأن حياتى لن تكمل إلا بك .

فهز رأسه فقالت : لقد كنت أبغى أن أسعدك وأتمنى الزواج منك من كل قلبي لأنك الإنسان الوحيد الذى علمنى معنى الحب . .

فقال فى اقتضاب : أعلم ذلك . .

ــ إذا كان الأمر كذلك فلم أعرضت عن حبى .

فلم يجب فقالت وهى ترفع يده إلى شفتيها : مجدى ، لماذا لا تتكلم . .

فقال فى تبرم : وماذا تريدين منى أن أقول ؟ . .

فقالت : لقد قلت لى يوماً إنك تحبنى ، وإنك تعدنى درة بين الفتيات ، فهل ما زلت عند رأيك ؟ . .

فأجابها قائلا ــ وما فائدة ذلك الآن ؟ . .

ــ إن كنت ما زلت تحبنى فخذنى معك حيث تشاء ولنعش فى عزلة عن الناس . .

فقال فى ضجر وهو يسحب يده من بين يديها :

ـ فائزة ، يجب أن نفترق الآن قبل أن يرانا أحد . .

فاندفعت تحتضنه وهى تهمهم بكلمات الحب والهيام فوقف جامداً لحظة ثم ما لبث أن دفعها بعيداً عنه وهو يقول :

ـ كفى . . . اذهبى قلت لك . .

فجثت عند قدميه وانبعث منها أنين مكتوم :

ـ لا تتركنى . . . اضرع إليك ، لا تتركنى . .

وخنقتها الدموع فلم تقو على الكلام وظلت طريحة كأنها حيوان جريح فنظر إليها فى غير اكتراث وقال :

ـ أنا ذاهب ، ولن أعود إلى هنا مرة أخرى . .

فزحفت نحوه ومدت يدها كأنها تريد أن تستوقفه ولكنه أولاها ظهره وترك الحديقة ومضى مسرعاً نحو سيارته التى كانت تنتظره بالباب .

وما إن اختفى شبحه حتى تحولت شادية من مكانها قرب النافذة وقد ارتسم على وجهها تعبير غريب مخيف يحمل كل معانى القسوة بعد أن كان آية فى الصفاء . وعندما آوت إلى مخدعها فى منتصف الليل تسربت إليها من عقلها الباطن خواطر مزعجة هزت كيانها وأقضت مضجعها ساعات طويلة دون أن تدرى لذلك سبباً مقنعاً ، وحاولت فى الصباح تحليل هذا الشعور

الرهيب الغريب الذى ملأ قلبها من هذا الموقف المهين الذى
وقفه مجدي من فائزة ولكنها عجزت عن الوصول إلى كنهه
ومعرفة جليته .

الفصل الثامن

وبعد شهر رحل عثمان مع شادية لقضاء خمسة أشهر فى أوروبا وأمريكا لزيارة أقطارهما المختلفة ولعقد بعض الصفقات التجارية ، وفى خلال تلك الفترة تزوج « فريد » من فتاة جامعية تدعى « وفاء » جاهدت معه فى الحياة حتى صلح أمره ووصل من استقرار الحال إلى ما يريد فى زمن قصير ، ولما عاد عثمان من رحلته وسمع نبأ زواج سكرتيره اغتبط به وابتهج له ، أما شادية فما كاد يبلغها النبأ حتى تملكها شعور غامض عميق من الضيق والغيرة والكراهية نحو وفاء ، ولم تستطع أن تحدد مبلغ كراهيتها لها إلا فى مساء اليوم الذى حضرت فيه مع فريد لزيارتها تلبية لدعوة عثمان ، فقد وجدتها فتاة لبقة جذابة باهرة الشخصية وإن كانت تقل عنها فتنة وجمالا ، وقضت شادية الوقت معهما ومع أسرة فرج التى دعيت للعشاء معهم وهى لا تحس راحة أو متعة فيما يدور حولها ، أما فريد فقد كان من القوة والثبات بحيث لم يستطع أحد أن يستكشف حقيقة ما كان بينه وبين شادية ، وفى هذه الليلة أحست شادية لأول مرة أن كبرياءها قد جرحت فقررت بينها وبين نفسها أن

تمحو سعادة «وفاء» بيدها وأن تمتحن أثر الحب القديم فى نفس رفيق طفولتها وصباها الذى كان بالأمس عاشقاً ولهاناً ثم انقلب بفضل زوجته شاباً رزيناً متزناً لا يفكر إلا فى أمر مستقبله واستقرار حياته .

وعندما انتقلوا إلى مائدة العشاء التى أعدت بهذه المناسبة استأثر فريد وزوجته بعناية شادية فكانت تتفقد حاجتهما الى ألوان الطعام وهى لا تكف عن الابتسام والمداعبة وبعد تناول العشاء جلسوا جميعاً فى قاعة الاستقبال يتحدثون وسرعان ما امتلكت شادية زمام الحديث فجعلت تروى لهم طرائف مما شاهدته فى أوروبا وأمريكا وتصف لهم فى لباقة مظاهر الحياة فى ربوعهما المختلفة ، وكان مجدى أثناء ذلك يختلس إليها النظرات ويلتهم حديثها فى شغف شديد . وبعد وقت انتقلوا إلى الحديقة وتفرقوا فيها وأتاح ذلك الفرصة لشادية للاختلاء بفريد تحت خميلة فتدانت منه وقالت وهى تمسك يده ملاطفة

ــ كم أنا سعيدة برؤيتك يا فريد . .

فقال وهو يجذب يده من يدها فى لطف

ــ أشكرك يا شادية هانم . .

فقالت عاجبة : هانم ! ! ولم هذه الكلفة ، أأنا غريبة عنك ؟ . . . .

فأجابها فى هدوء : أنت فى مقام عثمان (بك) يا شادية هانم.

فقالت وهى تحدق فى عينيه : وما أهمية ذلك بالنسبة إلينا ، إنه لا يغير من أمرنا شيئاً ، أنسيت مكانتك عندى ، إن كنت قد نسيت فاعلم أنى ما زلت أعدك أعز إنسان فى الوجود . . .

ولما لم يجب عادت وأمسكت يده مرة أخرى وقالت بصوت متهدج النبرات :

ــ ليتك تعرف ما بقلبى يا فريد . .

فقال فى ارتباك ودهشة : لا . . . لا . . . أرجوك .

فقالت فى صوت حنون : ماذا دهاك يا فريد ، ألا يسعدك أن تعرف شعورى على حقيقته .

فارتاع فريد ولكنها أعادت عليه كلماتها ووجهها يدنو من وجهه فنفذت كلماتها كالسهام إلى قلبه وراحت نشوة الحب القديم تتسلل اليه من جديد وسمعها تقول :

ــ ألا تشعر بشعورى يا فريد . .

وأرسلت إليه تلك النظرات الفتاكة التى كانت فيما مضى تهز كيانه هزاً ثم قالت : فريد أما زلت تحبنى ؟ . .

فتراجع فريد إلى الوراء وقال : أرجوك يا شادية ــ وغفل الاثنان فى تلك اللحظة عن رؤية مجدى الذى كان يرقب

ذلك المشهد الغرامى من وراء شجرة بقلب يلتهب بالغيرة وعينين تومثان بشر مستطير ، ولما هما بالمسير غادر مجدى مكانه بسرعة وفى قلبه نار حامية من الغيرة والكراهية والغضب ، وفى تلك الليلة لم يذق للنوم طعماً ، وفى تلك الليلة أيضاً قرر فريد بينه وبين نفسه أن يقطع علاقته بشادية بأى ثمن حتى لا يعرض نفسه لشر يزلزل كل ما بناه . ولكن القدر المحتوم أبى إلا أن يتدخل فما هى إلا أيام حتى مرض عثمان ولزم فراشه واضطر أن يستدعى سكرتيره فريد للحضور يومياً إلى منزله لعرض الأوراق العاجلة عليه ، فكان يأتى كل صباح لهذا الغرض ثم ينصرف بعد ساعة ولما اشتد المرض بعثمان اضطر فريد إلى إطالة مكثه فى المنزل ليتعاون مع شادية على تمريضه . وكان فريد يصطحب زوجته معه أحياناً فلما أحس رغبة شادية الجامحة فى إثارة عواطفه نحوها حرص على اصطحاب زوجته معه فى كل مرة يزور فيها عثمان وخاصة فى المساء ، ومر أسبوع نجح فيه فى مقاومة إغراء شادية والإفلات من جميع الشباك التى كانت تنصبها له بمحضر من زوجته حيناً وفى غيابها حيناً آخر ، ولكن شادية ما لبثت أن غلت فى الإلحاح فراحت تضطهده بمناوراتها حين كان يزورها فى دارها مع وفاء ، وجعلت تزوره فى داره حين كان يقعد عن زيارتها وينتحل لذلك ما كان

ينتحل من معاذير . وكانت وفاء ترى ذلك فتعجب له ولكنها كانت تأوله تأويلا حسناً نقياً فى أول الأمر ولكن مواقف شادية السافرة مالبثت أن أثارت ريبتها وبذرت بذور الشك فى نفسها وجعلتها تسيء الظن بزوجها الذى وقفت عليه قلبها وعقلها وعواطفها.

وذات مساء ذهب فريد ووفاء إلى منزل عثمان وصعدا توا إلى غرفته فألفياه فى فراشه وعلى مقربة منه شادية تجلس على طرف السرير وبعد أن تبادلوا التحية جلس فريد وزوجته على مقعد غير بعيد وأخذا يتجاذبان الحديث معهما ولما حان موعد الدواء نهضت شادية واتجهت إلى منضدة صغيرة وتناولت زجاجة وصبت قليلا منها فى فنجان وقدمته إلى عثمان فقال لها مكفهر الوجه

ــ لا أريد أن أشرب هذا الدواء يا شادية ، إن طعمه كريه جداً . .

فقالت وهى تدنى الفنجان من فمه :

ــ ولكن يجب أن تشربه يا عثمان ، ان الطبيب يحتم شربه فى موعده . . .

وبعد دقائق من شرب الدواء أسبل عثمان جفنيه فخرجوا على أطراف أصابعهم ونزلوا إلى البهو وبعد أن جلسوا قليلا قال فريد :

ــ أظن أنه قد آن لنا أن ننصرف . .

فنظرت إليه شادية طويلا وهى تبتسم فى رقة وملاطفة ثم قالت :

ــ تنصرف قبل أن نتناول العشاء معاً ، هذا مستحيل . .

وسمعوا بعد لحظات الخادم سرور يناديهم لتناول العشاء فالتفتت شادية إلى فريد وقالت وهى تغمز له بعينيها :

ــ لقد أعددت لك ألوان الأطعمة التى تحبها ، هيا بنا . .

وجلسوا يأكلون ويتحدثون وبعد أن فرغوا من تناول الطعام انتقلوا إلى الصالون وأخذوا يتلهون بأشتات الأحاديث . وبعد قليل سمعوا الخادم سرور ينادى فريد فقالت شادية :

ــ لابد أن عثمان يريد مقابلتك ثانية . .

فنهض قائلا : سأذهب إليه . .

وتركهما وصعد على عجل . وبعد خروجه بدقائق استأذنت شادية من وفاء وخرجت بعد أن وعدتها أن تعود بعد قليل . ومكثت وفاء فى الغرفة وحدها نحو نصف ساعة ولما طال انتظارها نهضت وخرجت إلى البهو وأرادت أن تدخل غرفة المكتبة لتقتل الوقت بالقراءة ولكنها ما كادت تقترب من الباب حتى تراجعت خطاها ذلك أنها لمحت شادية تحادث « فريد » وتلاطف يده فى غير كلفة فوقفت بجوار الباب تتسمع فسمعت

شادية تقول : ماذا دهاك يا فريد ، ما هذا الخوف .

فأجابها محذراً : خفضى من صوتك يا شادية ، إننى أخشى أن تسمعك وفاء . .

ـ ليسمعنا من يسمعنا ، إننى أكاد أموت شوقاً إليك يا فريد ، ألا تعلم أنك أغلى وأحب شىء فى حياتى ، بل أنت كل حياتى .

وفى هذه اللحظة سمعت وفاء صوت أقدام الخادم سرور على السلم فأخلت مكانها وأسرعت إلى الصالون وهى تنتفض من نار الغيرة والغضب .

ولم تشأ وفاء بعد ذلك أن تنبئ زوجها بما رأت وإنما آثرت أن تحتفظ لنفسها بهذا السر الأليم حتى تستيقن من حقيقة الصلة التى تربط بين زوجها وشادية وبذلك لم يعلم فريد أن زوجته قد ظهرت على أمرهما أوتأثرت منه بقليل أو كثير . ولكن هذه الحال لم يقدر لها أن تدوم طويلا فما هى إلا أيام حتى تلقت فى مقر عملها بمصلحة الكيمياء رسالة من مجهول جاء فيها : افتحى عينيك جيداً وراقبى زوجك ، لقد خانك وما زال يخونك مع زوجة عثمان (بك) فى داره بالمعادى .

وجلست وفاء تنظر إلى الرسالة فى فزع وقد استبد بها غضب شديد وفجأة قررت أن تثأر لكرامتها التى أهينت وحرمتها التى

انتهكت وحبها الذى أضيع ، وانطلقت على إثر ذلك مسرعة إلى دار أسرته فى شبرا حيث كانت تقيم معه لتأخذ ملابسها وتفارقه إلى غير رجعة ، فلما دخلت ورأتها أمه فزعت لمرآها وأسرعت إليها قائلة :

ــ ماذا بك يا وفاء ، أ أنت مريضة ؟ .

ولكنها لم تجب ومضت إلى غرفتها وأغلقت عليها الباب وبعد وقت خرجت وبيدها حقيبة ملابسها فنظرت إليها أمه فى غمرة من الدهشة والذهول وقالت :

ــ ماذا حدث يا وفاء ؟ إلى أين أنت ذاهبة ؟ . .

فانفجرت قائلة : أنا ذاهبة إلى أهلى ، ولن أعود . .

فذعرت المرأة لكلامها وقالت فى جزع شديد

ــ تذهبين إلى أهلك ؟ ولماذا يا وفاء . .

فقالت فى لهجة احتقار صاعدة من صميم قلبها

ــ لأن فريد أصبح إنساناً آخر . .

ــ ماذا تعنين .

ــ أعنى أنه أتى أمراً منكراً لا يمكن أن تسكت عليه زوجة شريفة . .

فحدقت فى وجهها فى دهشة وقالت

ــ لا تقولى هذا بالله يا وفاء . .

ـ هذه هى الحقيقة ، صدقينى ، لقد رأيته بعينى مع شادية .

فصاحت المرأة مهتاجة : شادية هانم !! إننى لا أصدق من هذا حرفاً ، ياالله من الوشايات . . .

فقالت وفاء فى حدة : وشايات ! ! قلت لك إننى رأيتهما بنفسى . . .

فأجابتها قائلة : لا أصدق . . . لا أصدق ، إنى أعرف ابنى تمام المعرفة . .

فأجابتها على الفور : سواء صدقت أم لم تصدقى أنا ذاهبة .

فقالت الأم والألم يمزق صدرها :

ـ بالله تريثى يا وفاء ، لماذا لا تمكثين حتى يعود ؟ .

فقالت فى إصرار : مستحيل ، يجب أن أرحل تواً . .

ـ بل يجب أن تمكثى فلعلها مكيدة دبرها بعض الأشرار لتدمير حياته وسعادته .

فقالت الأخرى وهى تتحول ناحية الباب :

ـ يؤلمنى كثيراً أن أتركك وأخيب رجاءك . .

وتركتها على الأثر وانطلقت مهرولة إلى الشارع .

وكان « مجدى » فى سورة حنقه على فريد ـ بسبب علاقته الخفية بشادية ـ قد أجمع أمره على سحقه وتحطيمه

حتى يخلو له الطريق إلى شادية فأرسل تلك الرسالة إلى وفاء وراح يراقب حركاتها وسكناتها حتى رآها تخرج من مقر عملها بعد تلقيها الرسالة فتبعها إلى منزلها فى شبرا وانتظر حتى رآها تخرج حاملة حقيبة ملابسها .

وأحس مجدى بارتياح شديد لنجاح خطته وقرر بعد ذلك أن يضرب ضربة أخرى فى الصميم فاستدعى بعد ساعة إحدى صديقاته وطلب منها أن تتصل تلفونياً بعثمان وتنبئه بعلاقة فريد الآثمة بزوجته ، ولم يكد عثمان يسمع بالنبأ وهو فى فراشه حتى ثار فى نفسه غضب قاتل ، ولكنه لم يشأ أن يواجه زوجته التى كانت فى ذلك الوقت بالخارج بما سمع وإنما آثر أن يتبين حقيقة الأمر بنفسه فأخفى ما به من ريب ولم يتحدث إلى شادية بعد أن عادت من الخارج بشىء مما أخبرته به السيدة المجهولة ولما علمت شادية فى اليوم التالى بنبأ غضب وفاء وذهابها فرحت فى غير تحفظ ولا تحرج ولا احتياط ثم جاءها فريد بعد ساعات مغيظاً محنقاً واختلى بها وراح يؤنبها على مسلكها الذى أدى إلى غضب زوجته ثم أخذ يفضى إليها بالآلام التى يحسها والشقاء الذى يعانيه بسبب فراق زوجته له ولم يكد ينتهى من كلامه عن زوجته وإخلاصه لها حتى ثارت فى وجهه ونشب بينهما على الأثر جدال عنيف اضطر شادية إلى أن تنهره وتصيح به :

ـ أخرج من هنا ، أخرج وإياك أن تعود مرة أخرى . .

وفجأة ألفيا « عثمان » واقفاً بالباب فلما رأته أسرعت إليه وهى تتصنع الجزع وقالت :

ـ اطرده يا عثمان ولا تأخذك به رحمة ، لقد أراد بى سوءا ولكنى . . .

فقاطعها عثمان وهو يضمها إلى صدره فى محبة وإعزاز :

ـ لا تجزعى يا شادية ، لقد أثبت أنك جديرة بالثقة ، أما هذا الوغد فسأعرف كيف اقتص منه . .

فضمت نفسها إليه واتخذت من كتفه مسنداً ثم قالت فى صوت متهدج :

ـ إننى أفضل أن يظل الأمر سراً مطوياً محافظة على سمعتنا يا عثمان ، فدعه يخرج فى سكون ، ولك أن تفعل به بعد ذلك ما تشاء . . .

وكان فريد يرقب هذا المشهد فى دهشة واضطراب وخوف عظيم ، وسمع عثمان يقول له :

ـ كنت أود أن أنزل بك العقاب الذى تستحقه ، ولكن نزولا على رأيها سأكتفى بطردك وفصلك من عملك ، والآن اذهب من أمامى أيها الكلب القذر . .

فأجابه فريد فى استعطاف : أرجوك يا عثمان (بك) أن تسمح لى . . .

فقاطعه فى حدة وانفعال شديد وهو يشير إلى الباب

ــ أخرج . . .

فأجابه ملحفاً فى توسله : كلمة واحدة يا عثمان (بك) ، أقسم لك أننى برئ من هذه التهمة ، أقسم لك . . .

فقاطعه مرة أخرى فى غضب واهتياج بالغ وهو يهتز من شدة الإجهاد :

ــ أخرج قلت لك ، وإلا فأنت الجانى على نفسك . .

فحملق فريد فيهما فى رعب وذهول ثم سار متعثراً إلى الخارج وهو يجر قدميه على الأرض جراً . وسار يترنح وهو لا يدرى أين يمضى ، كان يريد أن يسير وأن يظل سائراً إلى ما لا نهاية حتى يتفادى الذهاب إلى منزله ، وشعر أخيراً بالتعب فجلس على مقعد فى إحدى الحدائق وراح ينظر فى ذهول فيما حوله ، وبدت الحياة فى عينيه كئيبة مظلمة بشعة ومرت أمام عينيه صور مأساته فى موكب قاتم مزعج مثير ، وكانت أبرز هذه الصور صورة شادية وهى تطل عليه بوجه جامد ملىء بالصلف والقسوة والوحشية ثم صورة زوجته وشريكة حياته وهى تنظر إليه فى وداعة وحنان فى ثوبها البسيط الذى يشبه أثواب طالبات المدارس ، وطافت بعقله عدة خواطر مسمومة سحرته فظاعتها ووجد فيها شفاء لما يجيش فى صدره من حقد وغضب وكراهية لشادية المتقلبة وزوجها البغيض اللذين حطما

حياته ودمرا البناء الجميل الذى أقامه جزءاً جزءاً مع زوجته الوفية الحبيبة . وارتعد فريد وهو يذكر اللحظات الرهيبة التى انتهت بطرده من منزل عثمان ثم ركز أفكاره فى الخطة المسمومة التى راودته للانتقام من شادية وعثمان معاً ، وتراءت له صورة زجاجة الدواء الموضوعة على المنضدة بجوار عثمان وتجسمت فى مخيلته صورة شادية وهى تناول زوجها فنجان الدواء ليشربه ، ثم تصور نفسه وهو يضع جرعة من السم فى زجاجة الدواء فى غفلة من الجميع ، ولكنه عاد فعدل عن هذه التصورات التى كانت تعبث بنفسه حين عادت إليه ذكريات طفولته وصباه وأيامه السعيدة التى قضاها مع شادية فاستبعد أن تنحط روحها إلى هذا المستوى من الشر والدنس والقساوة والوحشية وعزا موقفها الذى وقفته منه إلى غيرتها القاتلة من زوجته وحبها الشديد له وفزعها من مفاجأة عثمان غير المنتظرة ، وعندئذ لم يجد حرجاً فى أن يتريث حتى يستكشف جلية شعورها نحوه وسر موقفها العدائى الأخير منه ، وحتى يتسنى له فى الوقت نفسه معرفة موقف وفاء النهائى منه بعد أن أخبرته أمه بكل ما حدث . ولكن الأمور ما لبثت أن جرت بعد أيام على غير ما كان يقدر ذلك أن الأمر بينه وبين زوجته ما لبث أن انتهى إلى فساد ليس بعده فساد فقد أصرت وفاء على أن تفارقه بالطلاق إن رضى بالطلاق وبالموت إن رفض الطلاق . وخرج فريد

من دار صهره فى ذلك اليوم والجزع يملأ نفسه وعندما وصل إلى الشارع الذى يقع فيه منزله ومنزل خالة شادية بعد مقابلة وفاء وأهلها كان الليل قد أرخى سدوله ، وأراد قبل أن يدخل منزله أن يبتاع بعض الجبن والخبز لإخوته فقصد إلى د كان بدال يقع قريباً من منزل الد كتور بدر الدين ولكنه ما كاد يسير بضع خطوات صوب الدكان حتى وقف فى مكانه فجأة كأنما سمرت قدماه فى الأرض ذلك أنه رأى شادية تنسل خارجة من عيادة الدكتور بدر الدين وما هى إلا لحظة حتى ظهر بدر الدين يحمل وشاحاً وضعه فوق كتفيها وهو يقول : أتسمحين لى بأن أرافقك ؟..

فالتفتت إليه وقالت : لا داعى لذلك يا بدر ، فقد يرانا أحد . .

— حسنا ، لا تنسى أن تأتى فى الموعد الذى اتفقنا عليه :

— لن أنسى بالطبع يا بدر ، إلى اللقاء . .

— إلى اللقاء .

وبعد لحظات ركبت سيارتها وانطلقت بها صوب المعادى .

ووقف « فريد » ينظر ناحية السيارة وهو لا يقوى على الحراك من هول المفاجأة ، المفاجأة التى أكدت له الحقيقة المروعة وهى أن شادية لا تحبه ولا تبادله عاطفته وأنها امرأة بلا خلق ولا كرامة ولا أمانة ولا شرف ، وبعد لحظات انتزع قدميه من مكانه ومشى إلى داره وهو يشعر كأنه كتلة مشتعلة من الغيظ والكراهية .

الفصل التاسع

وعندما اختلى فريد بنفسه فى تلك الليلة راحت الأفكار المسمومة تحز فى ذهنه وتشعل المزيد من نار الشر والحقد والكراهية فى قلبه نحو شادية ، وأفزعه مصيره بعد أن فقد عمله الذى كان يرتزق منه وفقد زوجته الجامعية المكافحة التى كانت خير عون له على مشاق الحياة والتى أخذت بيده وساعدته حتى نال بكالوريوس التجارة ، وفجأة تملكه حقد قاتل على النساء جميعاً أولئك اللاتى أقحمنه مقحماً لا سبيل إلى الخروج منه ، وفكر فى تدبير خطة للثأر من شادية التى خانته وغدرت به وأشقته شقاء لا مزيد عليه ، ومن وفاء التى تركته وقاطعته وأغلقت دونه باب قلبها وسمعها فى عناد لا حد له ، ثم استرسل فى تفكيره الجامح فتملكته النقمة على أبويه لإقدامهما على إنتاج ذلك العدد الكبير من إخوته الصغار بلا روية ولا حساب ، وشعر بخوف مفاجئ وهو يستحضر فى ذهنه صورة إخوته السبعة الذين يعتمدون فى مأكلهم وملبسهم بل وفى وجودهم ذاته عليه ، وعندما بلغ هذه النقطة من التفكير أحس كأن عارضاً من الذهول قد عرض له وكأن كل شيء من حوله يضطرب أشد اضطراب ، وبقى على ذلك زمناً ثم أخذ الهدوء يثوب إليه شيئاً

فشيئاً ولم يكد يتمالك نفسه حتى تطلع إلى السماء وهتف منادياً ربه من أعماق قلبه :

ـ إن كان أمر هؤلاء الصغار يهمك فامنعنى يارب من حياة الشر التى أريد أن أختطها لنفسى . .

وفى الصباح استطاع أن يخفى مشاعره عن أمه وإخوته الصغار ولكن اضطرابه كان من الحدة بحيث لاح له كأنه يملأ أرجاء المنزل ويرسم الجزع على الأثاث والأدوات ووجوه أفراد أسرته جميعاً .

وخرج من الدار وهو يشعر بالقلق واليأس . وفجأة اقتحمت صورة وفاء عليه أفكاره واستأثرت بعقله وقلبه وعواطفه جميعاً ، وكان أول خاطر خطر له حين انجلت عنه صورتها أن يتصل بها تليفونياً فى مكتبها ، فعبر الشارع واتجه إلى تليفون عمومى وأدار رقمها الخاص وراح يصغى لرنين التليفون وقلبه يخفق بشدة وفجأة سمع صوتها يقول :

ـ ألو . . . ألو . . .

فقال وهو يجاهد فى السيطرة على أعصابه :

ـ أنا فريد يا وفاء ، هل أستطيع أن أتحدث معك قليلا .

فسمعها تقول فى صوت عذب حنون

ـ نعم يا فريد ، ماذا تريد ؟ .

فاهتز كيانه فرحاً وابتهاجاً عندما سمعها تناديه باسمه إذ لم

يحدث أبداً بعد خصامهما أن نادته باسمه ، وأجابها قائلا :

ــ عندى شيء هام أريد أن أفضى إليك به .

ــ ما هو هذا الشئ ؟ .

ــ أريد أولا أن أؤكد لك للمرة العاشرة أنى لم أفعل شيئاً ينافى حبى إياك أو يكذبه ، صدقينى يا وفاء انى لست بالزوج الخائن الخادع الذى تتوهمينه .

فأجابته قائلة فى صوت رقيق .

ــ لا حاجة بك إلى تأكيد كلامك يا فريد ، إننى لم أعد أتوهم ذلك بعد أن رأيت فى منامى ما أقنعنى بأنك غير ملوم . .

فتنفس الصعداء وقال :

ــ أحقاً ما تقولين ؟ ماذا رأيت فى منامك يا وفاء ؟ .

ــ سأخبرك به كلمة كلمة متى استقر بنا المقام يا فريد .

ــ ما أسعدنى بهذا الكلام يا زوجتى العزيزة ولكن . . .

ــ ولكن ماذا ؟ . .

ــ ألا تعلمين ما حدث ؟

ــ ماذا حدث ؟ .

ــ حدثت مأساة أخفيتها عنك ، فعندما ذهبت إلى شادية لألومها على موقفها وأؤكد لها وفائى وإعزازى لك دبرت لى مكيدة لا تطرأ ببال .

وأخبرها فى إيجاز بكل ما حدث وما أن انتهى من كلامه حتى سمع وفاء تقول :

ـ يا لها من شريرة ، هكذا رأيتها فى منامى .

وسكتت لحظة ثم استأنفت تقول :

ـ وكيف أنت الآن . .

ـ انى أواجه مشكلات لا نهاية لها .

ـ هون عليك ، سوف أحضر لنواجه المشكلات جنباً إلى جنب . .

فقال فى فرح غامر :

ـ وفاء ، يا حبيبتى ، ما أكرمك وما أنبلك . .

وعندما التقيا بعد وقت أسرعت إليه وألقت بنفسها بين ذراعيه وراحت تضمه بقوة وهى تنصت إلى صوته المتهدج بالانفعال :

ـ لشد ما أحبك يا زوجتى العزيزة .

وكانت عودة وفاء فاتحة خير وبركة على فريد وأسرته فما هى إلا أيام حتى ساقت إليه الأقدار عملا مربحاً فى إحدى شركات البترول التى تعمل على ساحل البحر الأحمر ، ولم تكد تصله هو ووفاء أخبار الرغد والثروة والجمال التى يتمتع بها موظفو هذه الشركة حتى بادرت وفاء إلى الاستقالة من وظيفتها الحكومية والتحقت بالشركة ثم رحلت مع الأسرة إلى مقر عملهم الجديد وهناك رأوا لوناً جديداً من الحياة وبيئة جديدة من المجتمع ملأت قلوبهم أمناً وسعادة وصفاء .

الفصل العاشر

وبعد أسبوع إزدادت حالة عثمان سوءاً ونصح الطبيب المعالج بنقله إلى المستشفى لإجراء عملية جراحية وما أن وصل إلى المستشفى حتى أجريت له العملية فى الحال واستلزم الأمر بقاءه فى المستشفى عدة أيام فحجزت له حجرة ممتازة وأعدت لشادية حجرة خاصة بجواره لتطمئن عليه وتسهر على راحته . وكان أفراد أسرته وأسرة شريكه فرج يوالونهما بزياراتهم فى كل وقت وكانت شادية ترتقب هذه الزيارات بفارغ الصبر لشدة ضجرها بالإقامة فى المستشفى وكانت تعنى عناية كبيرة بزينتها كلما حضر زائرون لرؤية زوجها وخاصة مجدى وجلال ومختار . وذات يوم حضر جلال بمفرده ودخل عليها حجرتها تواً وبعد أن حياها وسألها عن صحة عثمان جلس يجاذبها الحديث فى لباقة كعادته ، وكانت فى ذلك الوقت تجلس أمام المرآة تتعطر وتتزين فنظر إليها ثم إلى صورتها فى المرآة وراح يطرى محاسنها ويمتدح ذوقها فى طريقة تصفيف شعرها ولما وجدها قد تقبلت إطراءه بابتسام ومداعبة طرح الكلفة وجلس إلى جوارها وقال وهو يضع يده على معصمها :

ـ هيه ، أمسرورة أنت بالإقامة هنا ؟ .

ـ كلا بالطبع يا جلال ، إن الإقامة وسط المرضى شيء لا يطاق . .

ـ إذن لماذا لا تتركين المستشفى للإقامة فى المنزل . .

ـ بودى أن أفعل ولكنى لا أستطيع الآن . .

ـ وهل طلب منك عثمان أن تمكثى هنا طوال مدة إقامته فى المستشفى ؟ . .

ـ كلا ، ولكنى مضطرة إلى المكث هنا إلى أن تتحسن صحته قليلا . .

ـ وبعد أن تتحسن صحته ؟ .

ـ سأذهب إلى المنزل لأدبر شئونه على أن أواليه بالزيارة يومياً . .

وبعد حديث قصير عن عثمان ومرضه التفت إليها جلال وقال :

ـ والآن يا شادية ، أما زلت تذكرين ما قلته لك . .

ـ ماذا تقصد ؟ .

ـ أقصد ما أخبرتك به من أن شبابك لا ينبغى أن يضيع سدى . .

فابتسمت فى رضا وقالت :

ــ نعم . .

ــ وما رأيك ؟ .

ــ وماذا تنتظر منى أن أقول ؟ .

ــ قولى مثلا إنك لا تحبين الحياة التى تعيشينها الآن .

ــ وما فائدة ذلك لك يا جلال ؟ . .

ــ سأحدثك فى هذا الأمر عندما أزورك فى منزلك . .

وبعد خمسة أيام انتقلت شادية للإقامة فى منزلها وبعد وصولها بساعتين حضر جلال إلى المنزل فهرعت إليه تستقبله فى شىء من الارتباك إذ كان سرور والخادمة فى المستشفى يحزمان أشياءها .

فقال لها على الأثر وهو يضغط يدها فى شغف :

ــ مساء الخير يا شادية ؟ لقد كنت فى المستشفى فلما علمت بخروجك حضرت لأطمئن عليك . .

فقالت : شكراً لك . .

فأمسك بيدها ملاطفاً ثم قال :

ــ أرجو ألا يكون حضورى قد ساءك . .

ــ أبداً . . . أبداً . . . تفضل . .

ــ شكراً يا شادية ، تعالى نجلس وقتاً لأحدثك بما عندى .

ومضيا إلى حجرة الاستقبال وجلس جلال فترة صامتاً

ثم رفع بصره وقال :

ـ المسألة التى جئت من أجلها يا شادية مسألة قد تبدو سخيفة ولكنها مسألة هامة جداً يتوقف عليها هنائى أو شقائى . .

فنظرت إليه فى اهتمام وقالت :

ـ ما هى هذه المسألة ؟

ـ دعينى أولا أسألك سؤالا . .

ـ ما هو ؟ . .

ـ أسعيدة أنت بحياتك الراهنة ؟ . .

ـ ولم تسأل هذا السؤال ؟ . .

ـ أحب أن أعرف شعورك الحقيقى نحو عثمان . .

ـ إن عثمان يحبنى ولا يدخر وسعاً فى اسعادى . .

ـ وهل تظنين أن ذلك يكفى لإسعادك . .

ـ ولم لا . .

فدنا منها وأخذ يدها بين يديه وقال :

ـ لم هذه المداورة والمراوغة يا شادية ، لماذا لا تصارحينى بالحقيقة ؟ . .

فسلت يدها من بين يديه فى لطف وقالت :

ـ وما أهمية ذلك لك يا جلال ؟ لماذا تسأل كل هذه الأسئلة ؟ .

فارتعشت شفتاه وانطلق يهمهم بصوت متهدج من الانفعال

ـ لأنني أحبك ولا أستطيع الحياة بدونك يا شادية ولو لم يكن عثمان فى طريقى لتزوجتك فى الحال . .

وسكت لحظة ثم أردف :

ـ ألا يمكن أن تتركيه ، إننى أملك ثروة طائلة يا شادية وفى وسعى أن أجعلك أسعد الزوجات .

فنظرت إليه متعجبة وقالت :

ـ ولكنى متزوجة يا جلال . .

ـ بوسعك أن تنفصلى عنه ، إنه لن يرفض تطليقك إذا أردت .

ـ ليس الأمر بهذا القدر من السهولة يا جلال .

ـ كل شيء يمكن تدبيره يا شادية ، وبوسعنا بعد ذلك أن نرحل إلى مكان بعيد فى أوروبا حيث نعيش معاً سعداء لا ينغص حياتنا أحد .

ـ وفائزة ؟ . .

ـ سأسوى الأمر معها .

ـ أهكذا بكل بساطة تحطم أملها فيك ؟ . .

ـ إننى لا أنكر أنها تحبنى إلى أبعد حد ولكنى أريد السعادة لنفسى . .

ـ وهل تعتقد أننا إذا نجحنا فى ذلك نسلم من أقوال الناس . .

ــ إننى لا أهتم بأقوال الناس . .
ــ ولكنى أهتم بذلك جداً .
ــ إن الحب يا شادية أهم شىء فى الحياة بل إنه الحياة نفسها ، فإذا وافقت فسوف نرحل إلى جميع أنحاء العالم لنرى الحياة على حقيقتها معاً ، تصورى هذا يا حبيبتى ، تصورى حياتنا معاً على جبال الألب صيفاً وسواحل الريفيرا شتاء
وسكت هنيهة ثم استطرد يقول :
ــ لست أدرى إن كنت توافقين على ذلك أم لا توافقين ولكنى أحب أن أؤكد لك يا شادية انك ستسأمين من عثمان بعد أشهر إن لم يكن بعد أسابيع وخاصة بعد أن حطمه المرض . ولسوف يأتى يوم تنظرين فيه إليه فتتبينين أنه قد صار دمية كهلة بشعة وعندئذ ستندمين أشد الندم على ربط مصيرك بمصيره .
فنظرت إليه شادية وقالت :
ــ كفاك يا جلال ما قلته ولا تحاول أن تؤثر فى بكلامك أكثر من ذلك ، إن الدنيا أمامك واسعة وبها آلاف الفتيات الجميلات فلماذا لا تحاول أن تختار واحدة أخرى غيرى .
فدنا منها وقال بصوت راعش :
ــ مستحيل . . . مستحيل يا شادية . .
ــ وما وجه الاستحالة . .

ـ لأنني أحبك إلى درجة الجنون يا شادية .

وفجأة انحنى على يدها يغمرها بقبلات ملتهبة جياشة . ومرت لحظة صمت قصيرة وفجأة سمعا طرقاً على الباب فسألها جلال فى قلق :

ـ من تظنين ؟ . .

ـ لست أدرى ، انتظر حتى أرى من هناك . .

ومشت الهوينى وما كادت تصل إلى الباب وتطل من ثقبه حتى عادت أدراجها تقول فى ارتباك :

ـ يجب أن تختبئ فى الحال .

فقال فى اضطراب

ـ من يكون ! !

ـ إنه مجدى وأنت أدرى الناس بلسانه وخاصة إذا رآنا وحدنا هنا

فدار بعينيه ينظر حوله فى ارتباك شديد فأشارت إلى الستائر وقالت على عجل :

ـ اذهب واختبئ وراء هذه الستائر .

فأسرع إلى المكان الذى أشارت إليه واختفى خلف الستائر . وقصدت شادية على أثر ذلك إلى الباب وفتحته وما أن رآها مجدى حتى أمسك عن الكلام لحظة من شدة الإنفعال ثم تقدم منها وعلى فمه ابتسامة مريبة وفى عينيه لمعة غريبة ومد يده

إليها مصافحاً فمدت إليه يدها وهى تبتسم ، فاستبقى يدها فى يده وقال فى صوت خافت عليه مسحة من الاهتياج :

ــ كنت أسير فى الحديقة فلما رأيت النور فى غرفتك حضرت لأتحرى الأمر ، متى عدت من المستشفى ؟ .

فقالت وهى تسحب يدها من يده : منذ ساعات قليلة . .

فاقترب منها يحاول الابتسام وقال :

ــ حسنا فعلت ، أظنك وحدك الآن لأننى رأيت سرور والطاهية فى القاهرة .

وتقدم إلى الداخل بعد أن أغلق الباب وراءه فنظرت اليه مستنكرة وقالت :

ــ مجدى ؛ افتح الباب . .

فقال فى صوت متهدج من شدة الإنفعال :

ــ ويحك يا شادية ، أأنت خائفة ، أأنا شيطان حتى تنظرى إلى هكذا ؟ .

فقالت وهى تتقهقر أمامه :

ــ أرجوك . . . أرجوك أن تخرج .

فمد يده يحاول تطويقها ولكنها تراجعت على عجل وعيناها تتقدان فأصابت يده أكرة حادة فصاح وهو يجذب ذراعه

ــ أف لك ، ما أقساك ، ولكن لا . . لا ، أنا واثق أنك لم تقصدى هذا .

فقالت وهى تتقهقر أمامه :

ـ إذا لم تخرج فلن أصفح عنك أبداً . .

فتقدم منهامرة أخرى وهو يقول :

ـ لست أدرى لماذا تعاملينني بهذه القسوة يا شادية . .

وفجأة أطبق على ذراعها وقال وهو يحدق فى وجهها :

ـ لم ترهقينني كل هذا الإرهاق يا قاسية . .

فقالت فى صوت يفيض بالحنق :

ـ ابتعد عنى قلت لك . .

وتخلصت من قبضته بفتح أنامله واحدة بعد الأخرى واستطردت :

ـ إذا لم تذهب صحت بأعلى صوتى . .

ـ عجباً ، أترضين لنفسك الفضيحة ، ومع ذلك فأنا مستعد أن أذهب بشرط واحد . .

ـ ما هو ؟

فانحنى عليها واختطف قبلة عجلى فتقهقرت وهى تقول فى حدة :

ـ مجدى !!

فانقض عليها واندفع يحتضنها ويقبلها فى ثورة عارمة واستحال كل ما عاناه من صدها وحسنها إلى رغبة جامحة فى

اغتصابها أما هى فقد تصلب جسمها فيما يشبه المقاومة ثم لم تلبث أن أذابتها حرارته وقوته فتراخت وهى تتأوه : دعنى ... دعنى ...

وكان وجهه فى تلك الأثناء مواجهاً للستائر التى اختفى وراءها جلال فرأى طرفى حذاء تبرزان من تحت ذيول الستائر وعند ذلك عراه ذهول شديد واختلط عليه الأمر ثم تمثل له أن المختبئ ليس إلا عاشقاً آخر جاء يزاحمه فى حبها ، وما أن استقر هذا الخاطر فى ذهنه حتى دفعها بعيداً وصاح وهو يشير إلى طرفى الحذاء :

ــ أيتها الفاجرة . . . من هذا ؟ .

ولم ينتظر جوابها وإنما اندفع نحو الستائر وهو يصيح ويتوعد ولم يكد يقترب من الستائر حتى برز له جلال وهو يلوح له بقبضته فما كاد يراه حتى صاح فى دهشة وغيظ واحتقار :

ــ جلال ! ، أهو أنت ، ما شاء الله ، أتخونيننا جميعاً مع هذا الخطيب المغفل المخدوع الذى لا يعرف ما ترتكبه خطيبته معى كل يوم .

وأثار هذا الكلام ثائرة جلال فانقض عليه ولكمه فى وجهه لكمة شديدة وما هى إلا لحظات حتى نشب بينهما صراع دموى عنيف انتهى بسقوط الاثنين أرضاً خائرى القوى لا يقويان على الحراك . وكانت شادية تراقبهما فى استمتاع غريب دون

أن تحفل بأحد أو تشفق على أحد كأنما الأمر لا يعنيها .
وبعد لحظات سمعوا بالباب طرقاً وتعالى صوت نرجس من الخارج فانتفض مجدى فى مكانه ونظر إلى شادية وقال متوسلا :
ـ أرجوك يا شادية أن تصرفيها فى هدوء ، وأعدك إذا فعلت ذلك أن ننصرف فى سكون وأن يظل ما حدث سراً مطوياً .
فتركتهما شادية وسارت نحو الباب ولم تكد تفتحه حتى رأت نرجس تقف على عتبته وهى محتقنة الوجه وفى عينيها احمرار شديد فوقفت شادية هنيهة صامتة ثم سألتها قائلة :
ـ ماذا بك يا نرجس ؟ هل حدث شيء عندكم ؟ .
فنظرت إليها نرجس نظرة شذراء وقالت فى صوت مكبوت :
ـ كلا لم يحدث عندنا شيء ، لقد جئت لأرى ما يحدث هنا . .
فأجابتها بصوت هادئ :
ـ إطمئنى . . . إننا نقوم بترتيب الأثاث وتنظيفه .
فرمقتها بنظرة مريبة ملتهبة وقالت :
ـ حسنا ، أأنت بحاجة الى شئ
ـ أشكرك ، أنا ذاهبة لأنام
وبعد انصرافها بدقائق غادر جلال ومجدى المنزل خلسة وهما يجران أقدامهما على الأرض جراً . ووقفت شادية فى النافذة

ترقب شبحيهما فى لذة واستمتاع حتى اختفيا فى لجة الظلام .

وافترق الشابان على أثر خروجهما وذهب كل منهما فى طريق . ولم يشأ مجدي أن يذهب إلى بيته فقد أحس بأنه فى حاجة الى قوة هائلة ليسيطر بها على مشاعره، وشعر وهو يسير صوب شريط السكة الحديد بالغيرة تنهش قلبه وصدره وعقله نهشاً وخيل إليه أنه ما من شيء يمكن أن يريحه من الدوى المزعج الذي يدوى فى أعماق نفسه إلا أن يتحطم هذا المنافس البغيض الذى يزاحمه فى شادية ، وفجأة لمح جلال عن كثب وهو يسير مترنحاً صوب شريط السكة الحديد ، فنظر ناحيته نظرة مفترسة ثم نظر حواليه فى كل صوب يتفقد المكان ولما رأى المكان خالياً تبعه فى الظلام وقد شاع فى نفسه بغض جهنمى لا سبيل إلى كبته ، وتلفت حوله مهتاجاً فرأى حجراً بقرب الشريط فانحنى عليه والتقطه ثم تقدم ناحية جلال على مهل وانقض عليه وضربه بالحجر على رأسه فصعدت منه صرخة مكتومة وسقط مغشياً عليه ، وفى لحظات خاطفة جره من ملابسه وألقاه على شريط قطار المعادى ليمزق القطار القادم جسده . ووقف مجدى لحظات يرهف أذنيه ولكنه لم يسمع إلا صوت صفير القطار القادم من ناحية حلوان فتحول من مكانه ومشى مسرعاً صوب منزله وهو يرتجف وفيما هو يجد

فى سيره بدا له أن يلقى نظرة أخيرة على جثة غريمه فتوقف عن المسير وتطلع إلى مكانه عن بعد فرأى امرأة على رأسها شال يرفرف فى الهواء تنحنى على الجثة وتزحزحها بعيداً عن الشريط وبعد دقيقتين أقبل القطار وملأ المكان بدويه وضجيجه ، ومرت ثوان عجز فيها مجدى عن الحركة وظل لحظات يحملق ناحية المرأة فى رهبة وذهول ، وأخيراً انتزع قدميه من الأرض واستأنف سيره فى اتجاه منزله ، وكان بين وقت وآخر يتوقف عن المسير ويتلفت إلى الوراء وفجأة رأى شبح المرأة يتعقبه فى خطى سريعة فارتاع ارتياعاً شديداً وهم بالعدو فراراً ولكنه ما لبث أن توقف عندما سمعها تهتف باسمه وتأمره بالوقوف فوقف ينتظر معلق الأنفاس وما هى إلا دقائق معدودة حتى رأى نفسه يقف وجهاً لوجه أمام نرجس . وكان وقع المفاجأة عليه شديداً فنظر إليها وقال وقد جف حلقه :

— نرجس ! ماذا تفعلين هنا ؟ .

فرمقته بنظرة صاعقة وقالت :

— كنت أراقبك ، لقد سمعت ورأيت كل شىء بنفسى منذ رأيتك تدخل منزل شادية إلى هذه اللحظة .

فنظر إليها فى جزع وضراعة وقال :

— نرجس ، ينبغى ألا يعلم أحد بذلك . .

فقالت وهى تنظر إليه فى إمعان :

ــ إننى لا أستطيع أن أسكت . .

فسألها قائلا : لماذا ؟

فأجابته : لأننى إذا سكت اعتبرت شريكة لك فى هذه الجريمة .

فقال فى توسل واستعطاف بعد أن أحس لفحة من الخطر تهب عليه .

ــ أرجوك يا نرجس ، يجب أن نصنع شيئاً للخروج من هذا المأزق ، لقد كان ذلك حماقة طائشة منى ولكنى واثق من أنك ستسارعين لنجدتى . .

فتطلعت إليه لحظة ثم قالت :

ــ حسناً ، إننى مستعدة لذلك ولكنى أشترط شرطاً .

فقال فى لهفة : ما هو ؟ .

فأجابته قائلة : أن تفى بالوعد الذى قطعته على نفسك .

ــ ماذا تقصدين ؟ .

ــ أنت تفهم بغيتى ، تفهمها حق الفهم ولكنك تتجاهل .

ــ آه فهمت ، أتعنين الزواج ؟ ، أهذا كل ما تتطلبين .

ــ نعم هذا مطلبى الوحيد ، فما قولك . .

ــ إننى أعدك بأن أتزوجك من الغد إذا فكرت فى وسيلة لإنقاذى .

فقالت وقد تورد وجهها ابتهاجاً :

ـ أترك هذا الأمر لى ، سأدبر له خطة موفقة لا ينالك منها سوء .

ـ ماذا ستفعلين ؟ .

ـ سأظل مع جلال إلى أن يفيق من إغمائه وسأقنعه بعد ذلك بضرورة كتمان الأمر محافظة على سمعة العائلة ، والآن اذهب دون إبطاء قبل أن يفيق ويراك .

فطغى على مجدى شعور عميق من الارتياح ووقف يرنو إليها لحظة ثم قال :

ـ لست أدرى كيف أشكرك يا نرجس ، لقد أثبت أنك لى أعز صديق . .

ودنا منها وطوقها بذراعيه وهو يقول :

ـ إن قلبي يؤكد لى أننا سنكون أسعد الناس .

ثم قبلها انصرف حثيث الخطا .

وأصبح سكان المعادى وحلوان ذات يوم وقد تناهى إليهم خبران عجيبان وهما خبر زواج مجدى من خادمته نرجس وانفصاله عن أبيه ، وخبر فسخ خطبة جلال لابنة عمه فائزة .

الفصل الحادى عشر

ووجد فرج فى فراق مجدى سعادة لاحد لها لأنه كان قد أحس بعد مراقبته له فى الأيام الأخيرة أنه يسد عليه الطريق إلى شادية زوجة شريكه التى تعلق بها قلبه ، وكان حبه لشادية قد ألح عليه طوال تلك المدة إلحاحاً شديداً وذاق من تباريحه أشد ما يمكن أن يذاق ولكنه لم يجد القدرة على مصارحة شادية بحقيقة شعوره نحوها إلا بعد طرد مجدى لزواجه من نرجس .

وأخذ فرج يفكر فى الخطة التى ينبغى له أن يتبعها للوصول إلى شادية فى الخفاء ، واستطاع أثناء ذلك أن يخفى مشاعره الحقيقية عن أقرب الناس إليه وهى زوجته التى كانت خير معين له على تحقيق آماله وأهدافه . وهكذا لم يعرف أحد قط حقيقة شعوره نحو شادية ، ومرت عليه فترة مليئة بالأفكار والعواطف العنيفة المتضاربة كان خلالها يذهب إلى عمله فى المصنع كالمعتاد ويزور شريكه فى المستشفى بالليل والنهار ، ويتبادل هو وزوجته الزيارات مع شادية بانتظام ولكنه فى خضم ذلك كله لم يكن يفكر إلا فى شادية التى اقتحمت أسوار قلبه وملأت عليه حياته وتفكيره وعواطفه جميعاً .

وذات يوم اقترح على زوجته أن يمضيا أسبوعاً فى الإسكندرية ترويحاً للنفس فراقتها الفكرة ووافقت فى الحال كعادتها فقد كانت هكذا دائماً تلبى له كل مطلب دون مخالفة أو امتناع لشدة حبها له وثقتها فيه . وقضى فرج مع زوجته بالإسكندرية يومين ثم استأذن منها فى السفر إلى القاهرة زاعماً لها أنه مسافر لإنجاز بعض أعمال عاجلة ثم عائد اليها بغد يوم أو يومين فتركته يعود إلى القاهرة وهى كارهة .

وحالما وصل فرج إلى القاهرة توجه من فوره إلى أحد تجار الجواهر المعروفين واشترى منه عقداً ماسياً غالى الثمن ثم انصرف عائداً إلى المعادى . وكانت أمنيته عندما وصل إلى منزله أن يرى شادية ولا شيء غير ذلك فما أن فرغ من ابدال ثيابه حتى غادر منزله وأسرع الخطى إلى دارها وقلبه يخفق بشدة ، وطرق الباب طرقاً خفيفاً وهو يتلفت حوله وبعد لحظة فتحت الخادمة الباب فحياها وسألها قائلا : هل الهانم موجودة ؟.

— نعم يا سيدى ، تفضل . .

فتبعها إلى غرفة الاستقبال وتركته الخادمة بعد أن أشارت إليه بالانتظار وما هى إلا دقائق حتى أهلت عليه شادية باسمة ومنحته يدها الصغيرة الرشيقة وهى تقول فى صوت عذب حلو النبرات :

ــ أهلا . . وسهلا ، متى عدتم من الإسكندرية ؟ .

فقال وهو يضغط على يدها فى شوق وهيام :

ــ لقد عدت وحدى لإنجاز أعمال عاجلة . .

وبدا له أن يقبل يدها ولكنه سرعان ما عدل عن هذه الفكرة وخشى مغبة التسرع على أنه قال فى نفسه . . لو أننى أحجمت عن هذا الآن لما استطعت بعد ذلك مغازلتها ، ومن يدرينى لعل فيه خيراً لى ، وربما تقبلته بالرضا .

وتردد ثم شجعه ما ذكره من أنها كانت تتقبل مداعباته عن طيب خاطر حين كان يلتقى بها على انفراد فى دارها أو فى داره . وتكلمت شادية وهو فى صراعه النفسى فقالت وهى تحرك يدها الرشيقة الناعمة فى يده الغليظة الخشنة :

ــ ماذا بك يا فرج (بك) ، أراك مضطرباً ، هل حدث شيء ؟ .

فقال لها وهو يحاول التغلب على ما فى نفسه . :

ــ أبداً . . أبداً ، لم يحدث شيء على الإطلاق .

وفجأة اندفع ورفع يدها وقبلها ، وأذهلتها هذه الحركة ، وكان الجو شديد الحرارة وذراعها عارية لا يسترها إلا لفاع رقيق فانكشفت حين رفع فرج يدها إلى شفتيه ، وأدركت من نظرته الوالهة أنه هو الآخر يحبها ، يحبها هذا الحب الجنونى

المدمر الذى طالما بثته فى نفوس الرجال على اختلاف أعمارهم ومراتبهم فى الحياة ، كما أدركت أنه حائر لا يدرى كيف يتصرف ، فأخذت يده بين يديها وضغطت عليها بعطف وهمست وقد ملأها الرضا والابتهاج :

ــ ألا تجلس قليلا ؟ .

فجلس إلى جانبها وقد أشرق وجهه وامتلأ قلبه بشراً ثم قال :

ــ أرجو ألا أكون قد أزعجتك بحضورى .

فأجابته فى رقة وعذوبة :

ــ ليس فى الأمر إزعاج مطلقاً ، لقد كنت بحاجة إلى شخص يزيل عنى السأم . .

وسكتت لحظة ثم قالت :

ــ كيف وجدتم الإسكندرية ، لابد أنكم قضيتم وقتاً جميلا .

فنظر إليها فى وله وقال متهدج الصوت :

ــ بالعكس ، لقد كنت فى ضجر شديد . .

ــ ولماذا ؟ .

ــ لعلة أخذت تعتادنى منذ حين يا شادية

ــ علة !! ما هى ؟ .

ــ هى ضيق الصدر الذى يحرمنى الراحة ويحول بينى وبين النوم .

ــ لا بأس عليك يا فرج بك ، لعلها علة طارئة لا تلبث أن تزول .

ــ بالعكس ، إنها لن تزول أبداً .

فقالت وهى تنظر إليه فى تخابث :

ــ ولم هذا اليأس يا فرج بك ؟ .

ــ لأن الدواء الذى يردها عنى عسير المنال .

فقالت فى شىء من المكر :

ــ عسير المنال ! ! ما هو يا ترى ؟ .

ــ سأخبرك بأمره عندما نلتقى غداً .

قال ذلك ثم مد يده إلى جيبه وأخرج العقد وقدمه إليها وهو يقول :

ــ لعلك سمعت قبل ذلك أن ذوقى فى اختيار الهدايا لا يضارع ، فأرجو أن تتقبلى منى هذه الهدية كعربون مودة وإعجاب وتقدير .

فأخذت العقد وقالت وهى تتأمله فى إعجاب ودهشة وسرور :

ــ أوه ، ياله من عقد رائع .

فقال وهو يلاطف ذراعها العارية :

ــ هذا ليس شيئاً يذكر بالنسبة إلى ما سأقدمه لك غداً ، ولكن يحسن بك ألا تتحدثى إلى عثمان عن هذا ؟

ــ حسناً ، وأرجو أيضاً ألا يكون هذا على مرأى ومسمع من أحد وخاصة الخدم .

ــ طبعاً ، طبعاً ، وإذا شئت فتعالى إلى منزلى غداً الساعة الثامنة مساء لأريك هدية لا تطرأ ببال أحد .

وبعد لحظة نهض وانصرف بعد أن طبع على يدها قبلة طويلة ملتهبة . ولم يكد يغادر المنزل حتى ارتمت شادية على مقعد وهى تقهقه فى غبطة وسعادة وانشراح .

وفى اليوم التالى قرب الساعة الثامنة مساء انسلت شادية خارجة وقصدت إلى منزل فرج ولشد ما كان سرورها عظيماً عندما قدم لها مشبكاً كبيراً مرصعاً بالجواهر ، وبعد لحظات اقترح عليها فرج أن يجلسا فى غرفة مكتبه ليتحدثا قليلا فى بعض الشئون ، فاستجابت شادية إلى ما اقترح وقضت معه وقتاً سعيداً يتحدثان فى شغف وسرور فى أشياء بريئة وأخيراً انتقلت شادية إلى موضوع العلة التى يشكو منها فقالت له :

ــ لم تحدثنى بعد عن الدواء ، أصحيح أنه لا يوجد فى مصر ؟ .

فقال وهو يتنهد تنهدة عميقة :

ـ كلا ، إنه هنا ، وهو منى قريب ليس بينى وبينه سوى ذراع يا شادية . .

فهزت رأسها وقالت وهى تتصنع الحيرة :

ـ ماذا تقول ؟ أجاد أنت ، لقد عهدتك مشغوفاً بالمزاح معى . .

فأجابها بصوت يغلب عليه الانفعال :

ـ ليس هذا مزاحاً يا شادية ، أ أقول كلمة حق صريحة . .

فابتسمت قائلة :

ـ قل ما شئت . .

فقال مبهور الأنفاس :

ـ شادية . . . شادية ، ألا تعرفين أننى أحبك . .

ثم لهثت أنفاسه وهو يردف قائلا بعد أن أخذ يدها بين يديه :

ـ لشد ما أحبك يا شادية . . .

ثم نهض وأكب على قدميها يقبلهما فى حرارة وسعادة وفى أمل ورضا ، وفجأة اندفع فى جسمه نشاط عجيب لم يستطع كبحه فانتصب واقفاً وجذبها نحوه وأخذها بين ذراعيه وراح يضمها بقوة وعنف وحب ملتهب ويوسع وجهها لثماً وتقبيلا ، وفوجئت شادية بذلك أشد مفاجأة ثم شعرت بقبلاته تحرق وجهها وعنقها

ثم أحست ذراعيه تقبضان على خصرها بقوة وتهصران جسدها الرشيق هصراً عنيفاً ، هنالك طاش صوابها وخشيت أن ينال جسمها الجميل الرشيق منه سوء فأخذت تدفعه بعنف وهى تصيح به :

ـ أتركنى . . . أتركنى . .

فأجابها وهو يجذبها فى شيء من العنف :

ـ أتركك ! هيهات يا شادية هيهات .

فصاحت به وهى تحاول التخلص منه :

ـ أتركنى قلت لك ، وإلا صحت بأعلى صوتى . .

وفى تلك اللحظة فتح الباب واندفع منه مجدى ثائراً غاضباً فما أن لمحته شادية حتى صاحت به :

ـ أنقذنى يا مجدى . . . أنقذنى بربك .

فأسرع ناحيتها وانتزعها من بين أحضان أبيه فى عنف ودفعها ناحية الباب فهرولت إلى الخارج وهى تصيح فى وجه فرج :

ـ مجرم . . وحش . . . سافل . .

وذهل فرج من هول المفاجأة ذهولاً عقل لسانه وحل قواه ووقف مكانه يرسل الى ابنه الذى لم يعرف كيف حضر نظرات حائرة فيها الخزى والخجل والاستخذاء وفيها التوسل

والتضرع والاستعطاف . وساد بينهما صمت عميق قطعه فرج بقوله :

ـ مجدى اذهب الآن من أمامى ، أريد أن أخلو إلى نفسى .

فنظر إليه جامد العين وقال :

ـ إننى لن أذهب قبل أن أضع الأمور فى نصابها .

فقال الآخر بارتباك وسيماء الخجل الشديد تعلو وجهه :

ـ حسناً ، ما الذي تعتزم أن تفعله . .

فحدق النظر إلى وجهه المكتئب وقال :

ـ إننى سأفعل أشياء كثيرة لأننى لم أنس بعد كيف طردتنى من المنزل لفعلة ليست شيئاً مذكوراً بالقياس إلى فعلتك . .

فقال الآخر وهو يجهد فى إخفاء اضطرابه :

ـ أتهددنى يا مجدى . .

فقال وهو يحاول السيطرة على أعصابه :

ـ إننى لا أهددك ، ولكنى أحذرك ، ألا تدرى ماذا سيجره عليك هذا العمل ، ألا تعلم أن كلمة واحدة من شادية إلى زوجها سوف تعرضك لفضيحة تزلزل حياتك وتقضى على كل ما بنيته .

فازداد شعوره بالفزع وقال بسرعة :

ــ إننى أشعر بذنبى حيالها ولكنى لا أظن أنها تقدم على ذلك ، أنا واثق أنها لن تؤذينى ، هل تظنها حمقاء إلى هذا الحد ؟

فرمقه بنظرة كطعنة الخنجر وهو يقول فى مرارة :

ــ من يدرى ، ربما فعلت الآن ما هو أكثر من هذا ؟ .

فالتمعت فى عينى فرج نظرة خوف وتساؤل وقال :

ــ ماذا تعنى ؟ . .

ــ أعنى أنها ربما ذهبت وأبلغت الأمر إلى البوليس . .

فارتاع فرج ارتياعاً شديداً وقال :

ــ لا . . لا ، لا يمكن أن تقدم شادية على ذلك ، إن مثل هذه الأمور تحدث فى أعرق الأسر ولكنهم يضربون عليها سياجاً من الكتمان خشية الفضيحة ، ومع ذلك فيجب أن نسكت شادية مهما كلفنا ذلك من ثمن .

فنظر مجدى اليه برهة ثم قال :

ــ أنها فكرة سديدة ، أنا مستعد للذهاب اليها ومساومتها على الثمن . .

فنظر إليه الآخر فى عجلة وقال :

ــ إذن هيا . . . هيا يا مجدى ، أنت لا شك خير من يصلح لهذه المهمة .

وعندئذ سأله مجدى :

ــ كم تريد أن تدفع لها ثمناً لسكوتها .

ــ أى مبلغ من المال تريد . .

ــ لا أظنها تقبل مبلغاً يقل عن ألف جنيه .

فقال الآخر وهو يسرع ناحية مكتبه :

ــ ليكن . . . ليكن . . .

ولم يكد يناوله المبلغ حتى دسه مجدى فى جيبه ومضى مسرعاً إلى الخارج . وقصد توا إلى منزل شادية ورأسه تموج بشتى الأفكار والخواطر ، كان يفكر فى شادية ويسائل نفسه « ماذا أقول لها ؟ ماذا سيكون موقفها منى ؟ » واخترق حديقة دارها ولما اقترب من الباب وقف لحظة ليستجمع قواه ويصلح من هندامه ، ثم طرق الباب ومرت لحظة كأنها دهر لما انتابه فيها من قلق وانفعال ثم فتح الباب ولما رأته الخادمة حيته وقادته إلى الصالون ، وبعد فترة انتظار طويلة سمع خطوات شادية فى الردهة فدق قلبه سريعاً وما هى إلا لحظة حتى رآها تدخل الصالون وقد أفاضت الانفعالات على وجهها حساسية شديدة زادتها بهاء وجمالا فنهض ومد يده وأمسك يدها فأسرعت هى فى استردادها فقال فى صوت منخفض وهو يتأمل جمال ذراعيها :

ــ شادية ، لقد جئت لأعتذر إليك نيابة عنه .

فقالت فى حدة :

ــ تعتذر نيابة عنه ! ! هذا مستحيل .

فقال وهو ينظر إليها فى ضراعة :

ــ إنك محقة فى غضبك ، ولكن يجب أن تعذريه يا شادية .

ــ ولماذا أعذره .

ــ أرجوك يا شادية . .

ــ قلت لك مستحيل ، كيف أصفح عنه بعد أن فعل ما فعل .

فابتسم لها وأرسل إليها تلك النظرة الباسمة الجذابة التى كان يظن دائماً أنها تذيب قلوب النساء وقال وهو يلاطف يدها

ــ أرجوك ، افعلى ذلك من أجلى ياحبيبتى .

وكان يمنى نفسه بجواب ينطوى على الحب والإعزاز والتقدير ولكنه ذهل من الفتور الذى بدا عليها وخاصة عندما قالت له فى جفوة ظاهرة وهى تشد يدها من يده

ــ مجدى ، لا تتجاوز حدك ، إننى لن أسمح لك مطلقاً أن تمس يدى

فنظر إليها عاجباً وقال : ماذا تقولين يا شادية ؟ لماذا بالله تتحدثين معى بهذه اللهجة ، ولكن . . . آه ما أغبانى ، لعلك

ما زلت حانقة على بسبب نرجس ، أليس الأمر كذلك يا حبيبتى . .

فنظرت إليه نظرة قصيرة هى مزيج من السخرية والاحتقار وقالت :

ــ ما هذا السخف الذى تهذى به ، أتريد أن تعرف الحقيقة . .

فابتسم قائلا : طبعاً . . طبعاً يا شادية .

ــ إذن اعلم أنك لا تساوى عندى شيئاً وليس فى وسعى أن أحتمل وجودك ولا كلامك أكثر من ذلك ، أيكفيك هذا ؟

فماتت الابتسامة على شفتيه وقال وهو يرتعد :

ــ هل بلغت بك الجرأة أن تكلمينى بهذه اللهجة ؟

فقالت وهى تحدجه بنظرة ازدراء مميتة :

ــ بلا ريب ، فإنى أحب ان تعرف هذه الحقيقة تماماً ، أتسمعنى جيداً ، إننى لا أحبك ولن أحبك لأن قلبى لا يعرف الحب ولن يعرفه فى يوم من الأيام .

وأدرك فجأة من نظراتها ما أقنعه بأنها لا تحبه ولا تهتم به إطلاقاً فغاضت من على شفتيه ابتسامة الزهو وتذكر بغتة مكانته من المجتمع بعد زواجه من نرجس وعلى الأخص فى نظر شادية وما كادت جميع هذه الخواطر تستقر فى ذهنه حتى تجهم وجهه وارتسمت عليه امارات الكبر والغضب وندم

أشد الندم على حضوره ونهض بعد لحظة مغضباً وقال وهو يغالب انفعاله :

ــ أنا منصرف يا شادية ولكن لى رجاء .

فقالت فى غير اكتراث :

ــ ما هو ؟ . .

ــ ألا تكونى قاسية على أبى البائس . .

ــ ماذا تقصد ؟ . .

ــ أقصد أن تسدلى ستار النسيان على كل ماحدث خرصاً على سمعته وحياته ، فهل تعدينني بذلك ؟

ــ إننى أعدك بذلك على شرط .

ــ ما هو .

ــ أن تبتعد أنت وأبوك عنى نهائياً وإلى الأبد .

فحزت هذه العبارة فى نفسه وقال وهى ينتفض :

ــ ألا تريدين أن تزيدى على ما قلته شيئاً ، أليس لك مطالب أخرى .

ــ لا ، ولكنى أرجو أن تتذكر جيداً ما قلته لك . .

ــ ليكن ما شئت .

ثم حياها وانصرف وهو يجر قدميه على الأرض جرًّا .

وبعد ذلك بأسبوع ترك فرج المعادى وأقام هو وزوجته مع مجدى ونرجس فى عوامة على النيل قرب الزمالك .

الفصل الثانى عشر

أما شادية فكانت قد أحست منذ زمن أحساساً مبهماً بأنها تدخل تحت تأثير شيء جديد غريب لم تتبينه أول الأمر على وجه الدقة ثم وضح هذا الشيء حين أحست جنيناً يتحرك فى أحشائها ولم تكد تستيقن من ذلك حتى تملكها شعور غريب من القلق والجزع والحيرة، وكان مبعث هذا الشعور خوفها من عواقب الحمل وما قد يؤدى اليه من تشويه بجمالها وتأثير على قوامها ، واشتد هذا الشعور حتى قهر كل عاطفة أخرى فى نفسها وملك عليها كل أمرها وصرفها إلا عن البحث والتفكير فى طريقة تضمن لها التخلص من هذا الجنين ، ولما ثقل عليها الأمر خرجت وعرضت نفسها على عدد غير قليل من الأطباء رغبة فى التخلص من الجنين ولكن أحداً منهم لم يقبل المجازفة بإجهاضها ، عند ذلك قررت أن تلجأ إلى الدكتور بدر الدين فذهبت إليه سراً فى مساء ذلك اليوم الذى رآها فيه فريد خارجة معه من عيادته ، وأطلعته على رغبتها فى التخلص من الجنين فلما سمع بدر الدين ذلك دهش أعظم الدهشة وحاول أن يثنيها عن عزمها غير أن خافزاً غامضاً ما لبث أن أهاب به من أعماق نفسه أن يلبى رغبتها ويذعن لإرادتها

فوافق على إجراء عملية جراحية لإجهاضها سرًّا في عيادته وحدد لذلك يوماً ولكن سوء حالة عثمان أدت إلى تأجيل الموعد عدة مرات . وأخيراً جمعت شادية عزمها وقررت إجراء العملية فوراً وكان ذلك بعد رحيل فرج وعائلته إلى الزمالك بأسبوع .

وكان بدر الدين قد أعد للأمر عدته فأخلى عيادته من المرضى وبذل في سبيل إخفاء الأمر عن الجميع جهد المستطاع نزولا على إرادة شادية .

وفي المساء حضرت شادية وانسلت إلى عيادته دون أن يراها أحد ، فهرع إليها بدر الدين يستقبلها والخواطر والأفكار المتضاربة تتصارع في رأسه . وكانت شادية مهتاجة الأعصاب مضطربة الفكر فأمسك يدها يلاطفها مبتسما وهو يقول :

ـ لا تجزعي ، أنها عملية بسيطة ستنتهي بنجاح إن شاء الله .

ولما أدخلها حجرة العمليات جزعت جزعاً شديداً وتضاعف جزعها عندما رأت في حركاته اضطراباً مفاجئاً لم تلحظه من قبل فرفعت إليه بصرها وقالت :

ـ أنا خائفة يا بدر ، هل تعتقد أن العملية بسيطة حقًّا ..

ـ بلا شك ، كوني مطمئنة يا شادية .

ـ وهل سيحتاج الأمر إلى وقت طويل ؟ . .

ـ أبداً . . . أبداً . .

وانحنى عليها لأداء مهمته وهو يحاول السيطرة على أعصابه ولكنه ما كاد يلمس جسد المرأة التى يعبدها حتى سرت فى أوصاله رعدة كالكهرباء ثم غمره بعد وقت موج هائل من الأفكار والذكريات والصور دارت لها رأسه واضطرب لها كل شيء من حوله ولكنه تجلد وراح يقاومها ويدافعها ويحاول التخلص منها كما يحاول الغريق أن ينجو من الماء الذى يطغى عليه ولكن دون جدوى ، وفجأة أحس يده ترتعش فعراه اضطراب شديد وتصبب جسده عرقاً وما هى إلا دقائق أخرى حتى تبين أنه مزق أمعاءها فتملكه فزع مروع وأظلمت الدنيا فى عينيه ومرت لحظات كادت الخواطر المفزعة أن تصرعه وتذهب بعقله .
وأخيراً حملها مع التمورجى فى سيارته وأسرع بها إلى مستشفى خاص وما أن فحصها الأطباء وأدركوا خطورة حالتها حتى بادروا إلى إبلاغ الأمر إلى البوليس الذى ما لبث أن قبض على الدكتور بدر الدين .

وكان عثمان فى ذلك الوقت يعانى نوبة خطيرة فى المستشفى فلما بلغه نبأ إصابة زوجته فى حادث غامض ودخولها المستشفى فى حالة تنذر بالخطر ارتاع ارتياعاً شديداً وانطلق يهمهم :

ـــ شادية ! ! زوجتى العزيزة ، دعونى أذهب لأراها .

ولم يكن أحد قد أنبأه بحقيقة ما حدث فى عيادة الدكتور بدر الدين إشفاقاً عليه فظل طول الوقت يهتف باسمها ويصيح :

ــ خذونى إليها . . . خذونى إليها . .

وفجأة نهض من مكانه فأسرع إليه الدكتور مختار والطبيب المعالج وحاولا منعه فصاح فيهما :

ــ دعونى أذهب . . . بالله دعونى .

وفى اللحظة التالية تهاوى على الفراش فأسرع إليه الطبيب يتفحصه فوجده يتنفس فى صعوبة فأخذ يجرى له بعض الإسعافات ويدلك أطرافه حتى تنبه قليلا ، وبعد لحظة أشار عثمان إلى الدكتور مختار فدنا منه وهو فى أشد حالات التأثر فأمسك عثمان بيده وقتاً ثم همس قائلا :

ــ مختار ، أنا انتهيت .

فأجابه قائلا : سلمت يا خالى . . . أنت بخير . .

فقال بصوت مختنق وعيناه تحدقان فى الفضاء :

ــ لا . . لا . . هذه هى النهاية يا مختار ، فهل لك أن تعدنى وعداً . .

ــ أعدك يا خالى ، فماذا تريد . .

ــ هل لك أن تتعهد شادية بعد وفاتى إكراماً لى . .

ــ أعدك بذلك من صميم قلبى . .

فقال فى صوت بدا كأنه حشرجة الموت :

ــ ما أشد طيبتها وسذاجتها ونقاءها ، ليتك يا مختار . . .

ثم شهق شهقة عميقة فاضت فيها روحه .

الفصل الثالث عشر

وتصرمت أيام . وبعد شهرين خرجت شادية من المستشفى منهوكة القوى قلقة النفس محطمة الأعصاب وأقامت مع خالتها فى شبرا بعد أن آلت إليها معظم ثروة عثمان . وبعد شهر من خروجها أصدرت المحكمة التى كانت تنظر فى قضية الإجهاض حكمها بمعاقبة الدكتور بدر الدين بالحبس ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة . وخلال الفترة بين هذين الخبرين كانت شادية تعيش فى شبه دوامة هائلة .

ويوما وهى جالسة فى غرفتها مع مختار راحت تنظر إليه ومنديلها فى يدها تمسح به عينيها المملوءتين بالدموع وقالت :

— إن قلبى يتمزق حسرة وألماً كلما استعدت فى ذهنى كلمات عثمان الأخيرة التى قالها لك يا مختار . .

وسكتت لحظة ثم قالت ووجهها يسبح فى الدموع :

— ليرحمه الله ، لقد تركت وفاته فراغاً كبيراً فى حياتى لا يمكن أن يملأه أحد ، إن الحياة بعده أصبحت لا قيمه لها . .

فقال ليرفه عنها :

— إننى أرثى لك من صميم قلبى ، ولكن لا ينبغى أن

تستسلمى هكذا لليأس يا شادية . .

ــ هذا حق ، ولكنى ما زلت أشعر فى أعماق نفسى بأننى مخطئة ، وهذا هو سبب ما أحس به من أسف وضيق وشقاء . .

وسكتت هنيهة ثم راحت تقص عليه قصتها على حقيقتها مع بدر الدين وجلال ومجدى وفريد وما كان من رغبتها الخفية فى إيذائهم جميعاً واستطردت تقول :

ــ ليتك تدلنى على طريقة تنقذنى من نفسى ، فإننى أشعر أحياناً كأن غولا يكمن فى أغوارى ويريد أن يفتك بكل من يصادفنى من الرجال . .

فأخرج سيجارة وأشعلها وراح يدخن فى هدوء وهو يتفحصها ثم قال كمن يريد أن يشجع طفلا شاذّاً على الكلام :

ــ لا سبيل إلى راحتك يا شادية إلا بوسيلة واحدة . .

فقالت فى لهفة :

ــ ما هى ؟

ــ أن تفضى إلى بكل ما عندك ، من بداية طفولتك إلى الآن . .

ــ وماذا يهمك من أمر طفولتى ؟ . .

ــ إن ذلك مهم جدّاً ، لأننى سمعتك وأنت غائبة عن وعيك فى المستشفى تهذين بأشياء بدت لى غريبة جدّاً . .

فامتقع وجهها امتقاعاً شديداً وقالت وهى تتطلع إليه في جزع :
ــ ماذا كنت أقول ؟
فرفع وجهه ونظر إلى السقف دون أن يتكلم أحد منهما ثم ما لبث أن قطع الصمت قائلا :
ــ من تكون سميحة ؟
فومض فى عينيها بريق غريب ثم قالت :
ــ إنها أمى . .
ــ وعابدين ؟
فانتفضت فى مكانها انتفاضة مروعة وقالت وشفتاها تختلجان فى شدة :
ــ إنه أبى ، ماذا سمعتنى أقول عنه ، ماذا قلت عنه بربك ، أجبنى ، أجبنى . .
فأجابها فى هدوء :
ــ علام كل هذا الاضطراب يا شادية ؟ . .
فقالت وهى تجفف العرق المتصبب من جبينها :
ــ لست مضطربة ، لست مضطربة ، ولكنى أحب أن أعرف بماذا كنت أهذى . .
ــ سأخبرك بكل شيء يا شادية فلست أريد إلا سعادتك ،

والآن أنا أنتظر أن تساعديني لمعرفة مشكلتك . .

ـ لا تطلب مني تفسيراً يا مختار فأنا كما قلت لك أجهل نفسي كما أجهل كل شيء عن طفولتي . .

ـ ربما كنت مصيبة في ذلك ، فقليل من الناس من يفهم نفسه جيداً ولكن يجب أن تساعديني حتى أهتدى إلى المشكلة وأعالجها . .

ـ ماذا تقصد بالمشكلة ؟ . .

ـ إننا نقصد بها العقدة النفسية التي تستقر في اللاشعور دون وعي من صاحبها نتيجة لرغبة مكبوتة ، أو حب فاشل ، أو صدمة قاسية وما يخلقه ذلك في النفس من فكرة معينة ثابتة قد تتطور وتصبح مرضاً خطيراً يقود صاحبه إلى الدمار ، ومهمتي أن أكتشف هذه العقدة وأعالجها بإظهارها من مكمنها المستقره فيه في اللاشعور إلى حيز الشعور الواضح الجلي . .

وكان يتحدث وهو ينظر إليها بعينيه الحادتين الثاقبتين فأحست بهما تنفذان إلى أغوارها وتثيران في أعماق روحها قلقاً غريباً وبعد لحظة أحست كأنها تسبح في غيبوبة فاسترخت وأغمضت عينيها وبدأت تجيبه دون تحفظ على كل ما وجهه إليها من أسئلة ، ولما أيقن أنها استسلمت لإرادته استسلاماً كاملا أخرج ورقة وقلماً وراح يسجل اعترافاتها كلمة كلمة

وكانت اعترافاتها التى سجلها على الوجه الآتى :

ــ أين كنت تعيشين مع والديك قبل وفاتهما ؟

ــ كنت أعيش فى السنطة . .

ــ متى توفى أبوك ؟ .

ــ توفى بعد والدتى بستة أشهر . .

ــ كم كان عمرك فى ذلك الوقت . .

ــ سبع سنوات . .

ــ هل كنت سعيدة مع والديك ؟

ــ كلا ، كنت أشعر بأنى أتعس طفلة . .

ــ ولماذا ؟ .

ــ إن لذلك قصة طويلة . .

ــ إسردى إلى كل شىء .

ــ إننى أوثر ألا أتحدث عنهما ، ذلك يعذبنى ويشقينى . .

ــ ولكن يجب يا عزيزتى أن تتكلمى ففى ذلك فائدة محققة لك .

ــ إن فى الأمر مأساة مخيفة . .

ــ لا عليك يا شادية هأنذا مصغ إليك .

ــ ما دامت هذه رغبتك فسأصارحك بكل شىء . .

وسكتت لحظة ثم قالت :

« كنت أعيش مع والديّ في بلدة السنطة عيشة ناعمة هادئة في منزل جميل أنيق شيدته الحكومة لأبي ليشرف على شئون الري في تلك المنطقة ، وكان لأبي بوصفه مهندس الري سيطرة على عدد كبير من الموظفين والعمال والأهالي ، وكانت أمي سيدة فتانة جميلة يحبها كل من يراها وكنت أحبها حبًّا دونه كل حب ولا أطيق البعد عنها إذ كانت تبدو لي في هذه السن الباكرة مخلوقاً سماوياً كريماً ، وكان أبي يحبها حبًّا شديداً ويثق بها ثقة لا حد لها ويعتمد عليها في كل شيء ، وعشنا في الحب والصفاء حيناً ، ثم قدر لي بعد ذلك أن أذوق طعم الشقاء كما ذقت طعم السعادة فقد مرضت أمي مرضاً خطيراً فتك بجمالها وحطم قواها وأذبل شبابها وجعلها بعد بضعة أسابيع كومة من حطام ، ولم يكد يمضي على مرضها شهران حتى رأيت أبي يضيق بها ويعنف عليها ويعصف في وجهها ويغاضبها مغاضبة متصلة ويسيء معاملتها إلى أبعد حد فكان يكفي أن يراها ليعبس وأن يشعر بأنها في خطر ليفرح، ومرة دخلت عليها حجرتها فرأيت أبي واقفاً أمامها متجهم الوجه ينظر إليها شذراً ويقول :

– أتسمعينني جيداً ، يجب أن تذهبي إلى أهلك ، لقد طلبت ذلك مراراً فلماذا تصرين على البقاء .

فرفعت إليه نظرها الكليل وقالت في نبرات خافتة مرتعشة :

ــ إننى لا أصر على شىء يا عابدين ، ولكنى ضعيفة منهوكة القوى وأى مجهود سيقضى على . .

فصاح فى عنف وغلظة :

ــ يجب أن ترحلى رضيت أم كرهت ، هذا قرارى الأخير .

قال ذلك وخرج يدفع الباب وراءه فى عنف . فهرعت إلى أمى وأنا أبكى وأنشج فضمتنى إلى صدرها وقالت وهى ترتجف :

ــ لا تبكى يا شادية . . . اسكتى يا حبيبتى .

فتطلعت إليها وسألتها :

ــ لماذا يعاملك أبى هذه المعاملة يا أمى . .

فانخرطت فى البكاء ثم ضمتنى إلى صدرها فى حنو بالغ وقالت :

ــ هذا درس يجب أن تتعلمى منه يا شادية ، يجب أن تفهمى الرجال على حقيقتهم فهم أشرار أنانيون يحبون المرأة طالما أنها جميلة فإذا فقدت جمالها لسبب من الأسباب داسوها بالأقدام ونبذوها نبذ النواة ، ولذلك يجب أن تحتفظى بجمالك إلى آخر يوم من أيام حياتك . .

وبعد ذلك بأيام ماتت أمى فانقلب مرحى وفرحى وسعادتى وجوماً وحزناً وسكوناً ثم ضاقت فى وجهى الدنيا وأحسست أننى

غريبة فيها إذ كان أبى قليل العناية بى فلم ألاق منه نظرة حنان أو ابتسامة عطف ، ثم سمعت همساً حولى أن أبى على علاقة مريبة مع زوجة أحد العمد فلم أفهم من ذلك شيئاً أول الأمر ولكنى ما لبثت أن عرفت كل شىء من الخادمة الريفية التى كانت تقوم على خدمتنا فى المنزل ، عرفت أن أبى لم يكن رجلا مستقيماً وإنما كان زير نساء يحب العبث والمجون وله فى جميع القرى المجاورة تاريخ حافل .

وغاب أبى أياماً فتنازعتنى الهواجس وذات ليلة رأيته يدخل المنزل خلسة ومعه سيدة لم أتبين وجهها ودلف الاثنان توًّا إلى غرفة النوم فدخلت غرفتى ومكثت طويلا حتى غلبنى النوم وفجأة استيقظت من نومى مذعورة على صوت حركات مريبة فى الحديقة فقمت من فراشى وأسرعت إلى النافذة وتطلعت إلى الخارج فرأيت رجلا ضخم الجثة يتوسط جماعة من الرجال وهم يتكلمون فى غضب وفى أيديهم هراوات ضخمة وما هى إلا لحظة حتى اقتحم الرجل الضخم الدار والرجال من ورائه وهم يهددون ويتوعدون فتملكنى رعب شديد وعدوت ناحية مخدع أبى ثم دفعت الباب ودخلت لأحذره وهنا رأيت أبى والمرأة على الفراش شبه عاريين ولم يكد أبى يلمحنى حتى صاح بى متوعداً :

ـ أخرجي من هنا ، أخرجي وإلا . . .

ولم يستطع أن يتم كلامه فقد هجم عليه العملاق فى تلك اللحظة وغرس سكينه فى صدره ثم انهال هو ومن معه على أبى طعناً وضرباً حتى خر جثة هامدة ثم تحولوا إلى المرأة وذبحوها على الفراش ذبح الشاة ، وكنت أشاهد ما يجرى على الفراش الرهيب وأنا أصرخ وأولول فنظر إلى أحد الرجال وهددنى بالقتل بنفس الطريقة إذا لم أسكت وأخيراً حملوا الجثتين فى جوال وخرجوا فسقطت على الأرض مغشياً على » .

وهنا توقفت شادية عن الكلام لحظة ثم استأنفت تقول وهى تتنهد أنها ما فضلت عثمان على غيره من الشبان إلا رغبة فى الإبقاء على جمالها ولهذا السبب عينه عمدت إلى التخلص من الجنين الذى كان يضطرب فى أحشائها ، ولما فرغت من قصتها التفت إليها مختار وقال :

ـ هونى عليك يا شادية ، لقد أصاب فتيات كثيرات غيرك مصائب كمصيبتك فلماذا تعذبين نفسك كل هذا العذاب مع أن الذنب لم يكن ذنبك ، اطردى الماضى من حياتك وطئيه بقدميك واستقبلى الحياة بروح جديدة واعلمى أن الجمال ليس غاية فى ذاته وإنما هو هبة يهبها الله للمرأة لاجتذاب الرجل واستمالة مشاعره فى سبيل بناء حياة عائلية سعيدة قوامها

المحبة والانسجام والتفاهم واعلمى أيضاً أن الرجال ليسوا جميعاً أشراراً فمنهم الملائكة كما أن منهم الشياطين ، هل تفهمين جيداً ما أعنيه يا شادية ؟ .

فقالت فى دعة : نعم . .

– وهل تصدقين كل ما قلته ؟

– إننى أصدق كل ما قلته لأننى أعتقد أنك لا تقول إلا الصدق . .

وعندما تنبهت لنفسها بعد لحظات أحست كأنها ولدت من جديد فنظرت إليه ووجهها يلتمع بشاشة وبشراً وقالت :

– ماذا جرى لى ، إننى أشعر براحة لم أعرفها فى حياتى من قبل . .

فابتسم لها وقال :

– يسرنى أن أسمع ذلك . .

وسكت برهة ثم سألها قائلا :

– خبرينى يا شادية ، هل أتممت دراستك الثانوية ؟

– نعم ، وحصلت على شهادة التوجيهية ، ولكن لماذا تسأل هذا السؤال ؟ .

– لأن لدى فكرة أود أن أعرضها عليك . .

– ما هى . .

ــ ألا تحبين أن تلتحقى بالجامعة لمواصلة تعليمك ، إن ذلك يفيدك للغاية ، فما قولك . .

ــ ذلك يسرنى كل السرور .

ــ حسناً ، سأنظر فى الأمر وسأخطرك بالنتيجة فى أقرب وقت . .

والتحقت شادية بعد ذلك بالجامعة ، وانتقلت بذلك إلى بيئة جديدة فيها ترفيه عن النفس وتسلية عن الهم وبعد عن الهواجس والأوهام ، وشهدت فى الشهور التى تلت ذلك عهداً من حياتها سعدت فيه بغبطة نفسية لم تسعد بها فى وقت من الأوقات .

وكان الدكتور مختار يشجعها ويحثها على المضى فى العمل والاستذكار ويطلب إليها أن تعرض عليه أعمالها من حين إلى حين ، فتوثقت بينهما الصلات وتعددت الزيارات والمناقشات داخل الجامعة وخارجها ، وكان ذلك يحدث بينما كان الحب ينمو ويشتد ويبسط سلطانه على قلبيهما حتى تملكهما وانتهى بهما إلى حياة زوجية سعيدة قوامها الحب والحنان والتفاهم والانسجام .

يصدر قريباً

تقدم في مجموعة: **مكتبة الثقافة الشعبية**



الكتاب الرابع

الفنون الشعبية في يوغوسلافيا

بقلم الأستاذ عبد المنعم حسن

- أول كتاب من نوعه باللغة العربية
- الرقص الشعبي . المواويل . الربابة والمزمار
الأزياء القومية . الصناعات الشعبية .
كانت ولا تزال كلها تعبيراً عن الألم والأمل والكفاح

عدد ممتاز

مزين بالرسوم واللوحات الفنية الملونة

ثمن النسخة كالمعتاد ١٥ قرشاً مع باعة الصحف والمكتبات

س.ت ٥٢١٢١

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة